وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح- ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

صورة المهمّش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- فاطنة نوي
- مبروكة ربروب

إشراف الأستاذ:
- د. علي محدادي

السنة الجامعية: 2019-2020م/ 1441هـ.

شكر و عرفان

"أحمدك ربي و أثني عليك الثناء كله، سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، و الشكر لك ربي على توفيقك و امتنانك و على نعمك التي لا تحصى".

نشكر الله تعإلى أن وفقنا لإتمام هدا العمل.

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل الدكتور علي محدادي على ما أكرمنا به من حسن رعاية و توجيه، نسأل الله المولى عز وجل أن يجازيه عنا خير الجزاء وأجزله.

كما نرفع عبارات الود والعرفان إلى أهالينا الكرام الذين كانوا لنا خير سند ومعين، وبخاصة إلى تلك التي غمرتنا بحنانها وسهرت الليالي من أجلنا، والشكر موصول إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد، إلى أساتذتنا الكرام الذين كانوا بمثابة الزاد الذي لا ينفد ونخص بالذكر الأستاذة أحلام بن الشيخ، وإلى كل رفقاء الدرب أولئك الذين جمعتنا بهم الجامعة.

إهداء

- إلى والدي ووالدتي مع خالص تقديري ومحبتي وامتناني لكل ما فعلاه من أجلي.

- إلى كل إخوتي وأخواتي وأزواجهم و إلى كل العائلة.

- إلى كل الأصدقاء والزملاء داخل إطار الدراسة وخارجها.

- إلى كل أساتذتي في الجامعة وإلى كل العمال في المكتبة وأخص بالذكر"أمينة" مع خالص شكري.

- إلى كل من مد لي يد العون وشجعني ولو بكلمة أهدي عملي المتواضع هذا.

فاطنة نوي

إهداء

أهدي ثمرة جهدي..

- إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله..

- إلى أمي حبيبة قلبي بارك الله في عمرها..

- إلى زوجي العزيز عبد الله وكل عائلته فردا فردا..

- إلى إخوتي وأخواتي وزوجاتهم وأزواجهم وأبنائهم وأحفادهم كل باسمه دون استثناء..

- إلى كل أحبابي وأصدقائي وإلى كل عائلة ربروب..

- إلى كل أساتذتي الأعزاء وإلى زملائي في الجامعة أهدي هذا العمل المتواضع مع كل امتناني وشكري.

مبروكة ربروب

المقـــدمة

المقدمة:

يزخر التراث العربي بألوان الأدب وفنونه التي مكنت من تقديم صور واضحة ودقيقة عن الحياة ومظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والأدبية على حد سواء،وتعد الرواية من أهم وأبرز الأشكال السردية التي عرفها الإنسان منذ بضع قرون، واحتلت مكانة متميزة بين الأنواع الأدبية الأخرى، من خلال ارتباّها الوثيق بالواقع المعيش، ومن بين تلك الأنواع الرواية التي شقّت طريقها بين عدّة اتجاهات ولبست أثوابا كثيرة، فتقمّصت الواقعية باعتبارها انعكاسا للواقع، والتاريخية لكونها أداة نؤرخ بها للوجود، والنفسية باعتبارها انعكاسا لحالات نفسية يعانيها المبدع، وغيرها من الاتجاهات، وصولا إلى الرواية الجديدة التي واكبت مختلف التطورات الحاصلة في الحياة المعاصرة بشتى مجالاتها لتأخذ شيئا فشيئا حظا وافرا من النقد والممارسة لدى معظم النقاد والباحثين، وبهذا تجاوز أنصار الرواية الجديدة المفهوم التقليدي للرواية وتقنياتها، إلى مستوى صار فيه التجريب يلعب دورا حاسما في بناء الرواية، حيث انطلقت مكونات السرد لتتمرد، فاللغة استحالت إلى كائن هلامي يصعب الإمساك به، والشخصيات غادرت الخشبة، والزمن فقد اتساقه وخطيّته، والمكان تشوّه وتكسّرت أبعاده، وبهذا أصبحت الرواية جنسا أدبيا فريدا بمختلف أبعاده حيث ازدهر في أدبنا العربي بسبب ازدهار الوسائط الجديدة كالطباعة والصحافة والترجمة والتعليم فهي مرآة عاكسة للمجتمع، تعبر عن تطلعاته وأفكاره وانتماءاته وقضاياه.

ومن بين قضاياه نجد قضية الهامش وهو توجه بارز في الرواية العربية التي تحاول تجاوز الخط الرسمي وبرجوازية الرواية ويمكن إن نعتبره مجالا مفتوحا للسرد يحاول معاكسة الخطاب الرسمي من خلال تصوير الواقع اليومي المتردي للحياة ومحاولة تبني مشاغل الناس في المناطق والإنحاء المهمشة، وقد شمل هذا التقدم والتطور الحاصل في الساحة الأدبية الرواية المصرية، حيث ظهر عدّة روائيين

برع كلّ منهم بأسلوبه الخاص في تصوير واقع الحياة المتردي الذي يعيشه المصري في قالب فني يلفت الانتباه.

إن قضية الهامش من القضايا المستحدثة في الدراسات الأدبية الحديثة لما أصبحت تطرحه قضية الهامش من إشكالات فنية بعد أن كانت اجتماعية ونفسية وحتى أخلاقية، وقد وقع اختيارنا على نجيب الكيلاني كواحد من ألمع وأبرز الروائيين المصريين الإسلاميين، نظرا لشهرة كتاباته في الآونة الأخيرة، حيث مسّت رواياته مختلف قضايا المجتمع الإسلامي وبخاصة المجتمع المصري أيام الوجود الانجليزي، فاستحق بذلك جهد البحث والدراسة في رواياته، وبناء على ذلك اخترنا موضوع مذكرتنا المعنونة بـــ:

صورة المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني

وتهدف دراستنا إلى البحث عن المهمش الذي صوره نجيب الكيلاني في روايته**" النداء الخالد"** عبر لوحة فنية في شكل يلفت الانتباه واستكشاف ما يحمله المهمش من أفكار وتصورات، وكدا البحث والإلمام بصور المهمش في الأدب العربي، بالإضافة إلى اكتشاف أسباب التهميش.

ورغم الدراسات التي أنجزت حول روايات نجيب الكيلاني، اتفقنا على البحث في إحدى أهم أعماله الروائية المتميزة وهي رواية **(النداء الخالد)** في محاولة للكشف عن مدى قدرة الروائي على دراسة صورة المهمش في هاته الرواية.

لقد ركزت دراستنا حول دلالة المهمش عند نجيب الكيلاني، وعليه انطلقنا من الإشكال الرئيسي التالي:

ـ كيف صور نجيب الكيلاني المهمش في روايته" النداء الخالد"؟.

وتندرج تحته الأسئلة الفرعية الآتية:

ـ من هو المهمش؟ وماهي أسباب تهميشه؟

ـ وماهي الأسباب الموضوعية والفنية لتصوير المهمش؟.

ولمعالجة الموضوع انطلقنا من الفرضيات الآتية:

ـ صور نجيب الكيلاني مهمشيه تصويرا فنيا متنوعا.

ـ صور نجيب الكيلاني نمطيا.

ومن هذا الاختلاف تعددت صور المهمشين.

أما بالنسبة للمنهج الذي اعتمدناه فهو المنهج الاجتماعي بحكم طبيعة المدونة والموضوع، مصحوبا ببعض أدوات الاستقصاء التي أفدنا منها في جمع المفاهيم، وكذا الوصف والتحليل والاستنتاج.

وقد بني بحثنا على ثلاثة فصول: يتناول الفصل الأول ضبط المفاهيم حول المهمش، حيث قسمنا هدا الفصل إلى مبحثين اثنين المبحث الأول يتناول المهمش في المفهومين اللغوي والنقدي من مفهوم لغوي واصطلاحي للمهمش وأسباب التهميش وخصائص أدب الهامش ثم رواية المهمش في منظور النقد فيما يبحث الآخر في أنواع التهميش والرواية وتمثيلات الواقع في المجتمع المهمش وقضايا أدب الهامش ثم الكتابة على الهوامش في المعنى التقني.

أمّا الفصل الثاني فتناولنا فيه: صورة المهمش في النداء الخالد وهو مشتمل على مبحثين كذلك، تناولنا في المبحث الأول: الأبعاد الموضوعية في رواية النداء الخالد وكانت مرتبة كالآتي: البعد التاريخي، البعد السياسي، البعد النفسي، البعد الديني، ثم البعد الأخلاقي الاجتماعي، وتناولنا في المبحث الثاني: فنية تصوير المهمش في رواية النداء الخالد من تصوير خارجي.

وفي الفصل الثالث فقد خصصناه لفنية تصوير المهمش متكون من مبحثين اثنين الأول لصورة الشخصية المهمشة في رواية النداء الخالد والثاني لصورة

المكان المهمش في الرواية، وختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال بحثنا.

وتم الاستئناس بدراسات سابقة أبرزها: مقال الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، للدكتورة أحلام بن الشيخ، هو مقال موجود في مجلة مقاليد، العدد الرابع عشر، الصادر في شهر جوان 2018، ومقال عتبة الهامش وفاعلية الخطاب السردي في رواية برقوق نيسان للكاتب غسان كنفاني، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد الثالث والثلاثون 01،2019،ومذكرة ماجستير بعنوان شعر الهامش في العصر العباسي أبو الشمقمق أنموذجا لبوزيد نوال، صدرت سنة 2015، وكدا مذكرة ماستر بعنوان صورة المهمش في كتاب البخلاء للجاحظ لعلياء هنيدة، صدرت سنة 2019.

وقد أحالتنا هذه الدراسات لمراجع أهمها: كتاب الهامش الاجتماعي في الأدب للكاتبة هويدا صالح، وهو كتاب حديث ركز على ظاهرة الهامش والمهمش تركيزا دقيقا في مجال الرواية منطلقا من الاختلاف الاجتماعي حول الظاهرة، وكتاب التهميش والمهمشون في المدينة المعاصرة للكاتب عمر الزعفوري، وكتاب بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي للكاتب حميد لحميداني.

وبحثنا كأي بحث لم يكن خاليا من أي صعوبات صادفتنا من حين إلى آخر، فكان أهم هده الصعوبات قلة المراجع التي تعالج الموضوع.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بأخلص عبارات الشكر والامتنان والتقدير للإستاد علي محدادي الذي أعاننا بملاحظاته وتوجيهاته السديدة الذي كان خير موجه خلال فترة إعداد هدا البحث،

ـ فاطنة نوي

ـ مبروكة ربروب

ورقلة في : 15/ 06/2020.

الفصل الأول:

مفاهيم حول المهمش

أ-المبحث الأول: المهمش في المفهومين اللغوي والنقدي

1- مفهوم المهمش
2- أسباب التهميش
3- خصائص أدب الهامش
4- رواية المهمش فيالمنضور النقدي

ب-المبحث الثاني: أنواع التهميش وقضاياه

1- أنواع التهميش
2- الرواية وتمثيلات الواقع في المجتمع المهمش
3- قضايا أدب الهامش
4- الكتابة على الهوامش في المعنى التقني

أ-المبحث الأول: المهمش في المفهومين اللغوي والنقدي

1ــ مفهوم المهمش

1-1-المهمش لغة:

لقد اتسعت الدراسات والمفاهيم حول قضية المهمش لكنها لم تقدم مفهوما واحدا بل تعددت واختلفت في ذلك بحسب وجهة نظره، فمن الناحية اللغوية نجد ابن منظور يورد في معجمه أن:(همش، الهمشة، الكلام والحركة، همش، وهمش القوم فهميشون وتهامشوا. وامرأة همشى الحديث، بالتحريك: تكثر الكلام وتجلب "..."الهمش والهمش كثرة الكلام والخطل في غير صواب؛ وانشد: وهمشوا بكلم غير حسن)[1].

إذن تستعمل لفظة مهمش على المرأة كثيرة الكلام، أطلق العرب هذه الصفة على الذي يكثر من الكلام، أي الثرثار المهذار غالبا يكون كلامه من غير طائل أو فائدة، فلا يلتفت له ولا يهتم به.

يقول الأزهري:(وانشدنيه المنذري وهمشوا بفتح الميم ذكره عن ابن الهيثم، واهتمشت الدابة إذا دبت دبيبا)[2].

بمعنى أن الهمش هو كثير الحركة والكلام، أو الفوضى والاختلاط في غير حسن.

وكذلك نجد أن الهامش:(في الكتاب أو المخطوط الجزء الخالي من الكتابة ويكون عادة حول النص)[1].

---

[1]ابن منظور لسان العرب، مادة همش، تحقيق: عامر احمد حيدر، مراجعة: عبدا لمنعم خايل إبراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت،ج:6،ط:1،سنة 2003/1424،ص 438.

[2]ابن منظور: لسان العرب، ص448

إذن الهامش الجزء الخالي ويكون في الحاشية ويوضع أسفل النصوص لا في متن النص وغالبا يأتي شروحات ومفاهيم، وتوحي بكل ما يدون على حاشية الصفحة من غير المتن حتى نستطيع من خلال الحاشية تقديم تفسير وشرح للكلمات المبهمة والصعبة والأفكار المستغلقة، أي التي لا يستطيع القارئ استيعابها ويصعب عليه فك رموز المتن، كما أنها تعد نتاجا لنص آخر يكون مستقلا بذاته،ويكون التدوين كذلك على الهامش بمثابة تنفسا عن المتن من خلاله يستطيع الباحث والكاتب يستطيع أن يعبر عن مالا يستطيع التعبير عنه في المتن.

و: (الهامشي: المنسوب إلى الهامش ويطلق مجازا صفة للمسائل غير الأساسية أو غير المهمة أو المتعلقة بأطراف الموضوع وجوانبه لا بصلبه)[2].

إذن لفظة الهامش مضافة إليها ياء النسبة، والمعنى هنا يرمي إلى أن كل الموضوعات والقضايا والإشكاليات والأفكار والألفاظ و المعاني التي ترتبط بالإنسان وتكون غير أساسية وغير هامة فهي مركز عليها، لأنها متعلقة بالقضايا الجانبية لا بالأساسيات أو صلب الموضوع في حد ذاته.

1-2-المهمش اصطلاحا:

أما اصطلاحيا فنجد من يؤرخ لنشأة مصطلح الهامش إلى القرن العشرين فكانت بدايته الأولى عند الغرب في المجتمع الأمريكي.

---

[1]ايميل بديع يعقوب و ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة و الأدب، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ط:1، 1987،ص1280.

[2]ايميل بديع يعقوب وميشال عاصي: نفس المرجع، ص 1280.

وترى هويدا صالح في كتابها" الهامش الاجتماعي في الأدب" إن مصطلح الهامش نعني به انه :(يشير إلى جماعة بشرية، وحركة تقف على يسار المركز وتتمرد عليه في الغرب، فقد ظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالهامشيين أو الحركة)[1].

إذن حسب رأي هويدا صالح تعد هذه المرحلة التاريخية هي التي ظهرت فيها مجموعات تسمى " بالكديسا والكانج" وهذه الفرق عبارة عن مجموعات هاجرت إلى أمريكا من سائر بلدان العالم، وهم أطفال مهاجرين ومتشردين في الشوارع الذين لا مأوى لديهم.

وحسب رأي شراك إن الهامش:(نوع من الانزياح المنفلت من قبضة الكتابة المركزية المؤسسية، أنها نوع من التمويه تمارسه الكتابة في هامشها، بعيدا عن سلطة المتن والمركز، ولذا قد تكون معبرة عن المسكوت عنه أو ما لا يحتمله المتن في جوفه)[2].

يحيلنا هذا التعريف إلى معنى آخر للهامش وهو فيما يرى شراك انه انزياح أو خروج عن المركز أو المتن ويمكن اعتباره متنفسا من سلطة المتن، وهو يعبر عن ما لا يستطيع أن يعبر عنه في المتن، فهو انفلات من الكتابة الأساسية الموجودة في صلب المتن، وإحالة في الأسفل أو في جانب المتن، وهو مفهوم آخر لمعنى الهامش فيما يسمى بالهامش التقني.

[1] هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة، 2015، ص47.
[2] هويدا صالح: المرجع نفسه، ص46.

ويعرفه هاني نعمة في كتابه"المهمشين في عصر ما قبل الإسلام" بقوله:(كل أنواع المنبوذين والمقصيين من قبل جماعة أو من قبل المجتمع بأسره كالسود والفقراء والنساء وغيرهم كثير)[1].

وبهذا نتوصل إلى أن مفهوم المهمش المراد منه هم جماعة من المجتمع أو قد يكون مجتمعا كامل تم استبعادهم واجتنابهم من طرف سلطة أو نظام في شتى المجالات، الاجتماعية، الثقافية، التاريخية، السياسية...

ويكون هذا المهمش حاضرا في مجتمعه غائب في أذهانهم لأسباب مختلفة منها مثلا: عدم الإحساس بأهميته وقيمته.

ويقصد كذلك بالمهمش: (التسليم بوجود ذات مهمشة، يفترض سلفا وجود من قام بفعل التهميش ومن المعلوم أن القائم بالفعل يمتلك القدرة على انجازه والقيام به يعني ذلك إن المهمش صاحب سلطة ونفوذ وحائز من كل الآليات التي من شأنها أن تحول المفعول به إلى ذات خاضعة وسلبية بل فاقدة لكل قدرة على تحويل موازين القوى لمصلحتها فالعلاقة بين الطرفين قائمة على الصراع والسيطرة وهي سيطرة تستمد شرعيتها من امتلاك المهيمن لكل وسائل القهر والإلزام: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، ومما يشرع له اعتماد العنف المادي والمعنوي لحمل المقصي على قبول وضعيته تلك)[2].

ومن خلال هذا التعريف نستخلص أن ظاهرة التهميش فعل مركزي عنصري من قبل صاحب السلطة، وباستطاعته أن يطبق كل وسائل التعذيب

[1] هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام، دراسة وفق الاتساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط01، 2013/1434، ص18.

[2] هاني نعمة حمزة: نفس المرجع السابق، ص 18.

والقهر والاضطهاد على الفئات المهمشة سواء كان هذا التهميش مادي أو معنوي...

وطبعا إن فعل التهميش يكون بعلاقة متوترة بين طرفين وصراع قائم بينهما وذلك لرفض أحدهما للأخر، بسبب السيطرة والهيمنة التي يفرضها القيمة والسلطة المهيمنة في شتى المجالات: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.. الخ.

2ـ أسباب التهميش:

يعد التهميش من القضايا التي فرضت نفسها وناقشها الدارسون والباحثون، وهذا الاهتمام من طرفهم نتج عنه عدة تساؤلات وإشكالات من بينها أسباب ظهور هذه الظاهرة، فماهي تلك الأسباب التي أدت إلى شيوع هذه الظاهرة؟

أكدت الناقدة والباحثة هويدا صالح إن السبب الأول لذيوع ظاهرة التهميش كان:(نتيجة لإخفاق النظام السياسي في منح طبقات المجتمع العناية السليمة ووقوع جزء كبير من المجتمع المهمل المظلوم تحت ثقل أزمات اجتماعية حادة ناشئة عن ضعف المدخول وقلة الخدمات التعليمية والصحية والثقافية والاجتماعية بوجه عام وإخراج هذا الجزء الأعظم من المجتمع من دائرة القرار السياسي، وهذه كلها أركان صالحة لصفة التهميش)[1].

وفعلا مما ساعد على ظهور ظاهرة التهميش وانتشارها أن الدولة أصبحت غير قادرة على تلبية مطالب الأفراد وتحقيق رغباتهم، وكذلك عدم القدرة على مواجهة الأزمات الاجتماعية وتوفير الظروف الملائمة للعيش خاصة منها التعليم والصحة، فهذا الإخفاق السياسي كان سببا في ذيوع وانتشار هذه الظاهرة.

[1] هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 54ـ55.

وهناك سبب آخر لانتشار هذه الظاهرة وهو: (انتشار أفكار العولمة وما بعد الحداثة فالعولمة لم تكتف بصبغ العالم بصبغة واحدة، بل عملت على مقاومة ظهور كيانات كبرى جديدة، وسعت إلى تفتيت الكيانات القوية القائمة إلى قوميات وشعوب صغيرة، مما زاد من مساحة التهميش في العالم)[1].

حسب رأي هويدا صالح أن ذيوع ظاهرة العولمة وانتشارها بشكل كبير على العالم، كان سببا في توسع ظاهرة التهميش في المجتمع وذلك بسياستها التي دعت إليها ولونت العالم بها، فهي لم تكتف بالدعوة فقط وبفرض التبعية والتقليد لأفكار الغرب والعالم ككل، بل عملت على تفكيك الكيان العالمي الكبير والمسيطر، بجعله قوميات دويلات مجتمعية صغيرة، مما اثر ذلك سلبا على العالم وجعله ضيق الأفق، وذلك بفرض عدة أنظمة عليها ومثال ذلك نجد تبني النظام الرأسمالي والتخلي عن النظام الاشتراكي الذي كان يدعوا إلى وحدة السلطة والمجتمع، فتبني الرأسمالية التي تدعوا إلى حرية الفرد واستقلاليته عن مجتمعه واتخاذ خصوصيته الذاتية، وهذا ما كان أمرا سلبيا لأنه أدى إلى ظهور قوميات ودويلات صغيرة وبذلك زيادة ظاهرة التهميش.

2ـ1ـ الأسباب الاجتماعية للتهميش في الشعر العربي قبل ظهور الإسلام:

من أهم أسباب التهميش في الشعر العربي ما قبل ظهور الإسلام هو تفشي ظاهرة الاستعباد والاسترقاق، هذه الظاهرة تفرض من منطق الطبقية والعرقية الاجتماعية حيث يظهر فيها علاقة الأنا "الأسود" بالآخر المتسلط عليه "الأبيض"، ونجد ظاهرة الاسترقاق بارزة في أشعار هم وخاصة في شعر الصعاليك،إما الصعاليك فهم:"(جماعة من اللصوص انتشروا في الجزيرة العربية يكسبون العيش

[1] هويدا صالح: المرجع نفسه، ص 55.

بالنهب والسلب، وقد نبذتهم قبائلهم إما لأنهم كانوا أبناء إماء، أو لأنهم أتوا بأعمال تتنافى وتقاليد تلك القبائل أو تعرضها لأخطار جسيمة)[1].

فسبب تهميش هؤلاء الصعاليك من قبل قبائلهم أنهم كانوا أبناء عبيد وهو تمييز عنصري جعل منهم يقومون بسلوكيات تتنافى وعادات تلك القبائل، لكن هناك من الصعاليك من لديه الأنفة على أمثاله المستعبدين والمحتقرين من قبل المجتمع وحتى على الفقراء والأيتام والأرامل فنجدهم مثلا يسرقون من الأغنياء من اجل إطعام الفقراء:(وكثيرا ما كانوا يغزون لتوزيع الغنيمة على ذوي الحاجة، وكثيرا ما كانوا يوجهون الغزو إلى الأغنياء عامة والبخلاء خاصة لإطعام الأيتام والأرامل)[2].

ورغم صعلكتهم إلا أنهم يستعملونها لأهداف نبيلة، كإطعام الأيتام والأرامل ومساعدة الفقراء.

وظاهرة التهميش تكون في طبقة دون الأخرى فالطبقة تشتمل في ذاتها على الوجود الموضوعي للطبقات، وهذه الطبقات مختلفة ومتمايزة عن بعضها البعض من خلال التفاوت في القوة والثروة والأمن، والفرص والوضع.

بحيث يرى الناقد **هاني نعمة** إن أساس النظرة الدونية للآخر الأسود تعود إلى أسباب مختلفة أولها واقع التاريخ؛ حيث يقول:(إذا كان الأبيض يؤمن إن عرقه سام، لذا فهو ارقيا لأعراق واسماها، إما نظرته إلى العرق الحامي فكانت نظرة ازدراء وتحقير وإقصاء وتهميش)[3].

---

[1] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب(الأدب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 01، 1986، ص 165.

[2] حنا الفاخوري: المرجع نفسه، ص 165.

[3] هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ماقبل الإسلام، ص 27.

حسب رأي هاني نعمة إن هذا العرق المتعصب يؤمن إيمانا مطلقا إن المجتمعات القبلية راضخة رضوخا تاما للعصبية القبلية، وهذه العصبية القبلية ترجع إلى التحام الأفراد بجماعاتهم العشائرية، ولذلك وجد تقسيم لهاته الطبقات الاجتماعية بحسب أفضليتها على النحو الآتي:

1ــ طبقة الصرحاء: وهم الذين يتمتعون بمزايا كبيرة ولهم كل النفوذ والسلطة والوجاهة على باقي الطبقات.

2ــ طبقة الموالي: متكونة من العبيد البيض والخلعاء الذين نبذوا لارتكابهم الجرائم.

3ــ طبقة العبيد: وهم كل من ليس من أفراد القبيلة والدخلاء المرفوضين، أو الذين جلبوا للخدمة وهم من تطبق عليهم كل أشكال التهميش والإقصاء والتحقير، حيث لا رابط بينهم وبين القبيلة سوى علاقة العبد بالسيد والضعيف بالقوي وموقعة الأسود موقع دوني في الأسفل.

إن ظاهرة التهميش موجودة منذ القديم كما ذكرناه سابقا، فعبر مراحل التاريخ لم تكن فكرة التنظير للظاهرة، أو تفسيرها أو البحث في أسبابها وخلفياتها إلا بعد أن بعثها علماء الاجتماع في العصر الحديث حيث بعثوا فكرة قياس أنماط التهميش وأسبابه وسبل التخلص منه لأنه ظاهرة سلبية تؤثر على تطور المجتمعات.

أكد المفكر "فرديناند تينيس" أن: (أولى مظاهر التحول تلك تمثلت في انهيار عوامل الثقة بين الأفراد حين استبدلت تلك العلاقات القائمة على الثقة والعلاقات

الوطيدة مثل تلك الموجودة في الأسرة والمجتمعات الصغيرة، إلى العلاقات القائمة على العقود القانونية مثل تلك الموجودة في المؤسسات الحالية)[1].

لأن عنصر الثقة أخفض انتماء الفرد لجماعة عرقية أو دينية مما أدى إلى التفكك في المجتمعات الحديثة، كما ترى نظرية الجماهير الحاشدة حيث تؤمن هذه الجماعة بمبدأ الفصل بين الفرد والآخر ومشاعر العزلة والتغريب التي تنشأ بين أفراد المجتمع.

وقد تكون أسباب التهميش عامة نذكر منها:

عدم إعطاء أهمية للفرد وعدم الإحساس به من طرف المركز والسلطة، وإضافة إلى ذلك يعد الفقر سببا في تهميش طبقات من المجتمع خاصة ممن يبنون علاقاتهم على أساس المصلحة والاستفادة المادية مما لا يتوفر في الفقير.

3ـ خصائص أدب الهامش:

إن الأدب الهامشي يستطيع أن يأخذ بالهامش متجها بذلك إلى الفئات المحرومة والمقصية والتي تعاني من ويلات الحصار والاستعباد والإقصاء، الذين لا صوت لهم والذين تم عزلهم من طرف الخطابات الرسمية أو أعطتهم صورة مشوهة، والتي لم تكن هي الحقيقة الصادقة، فنجد هذه الجماعات تحتفي باللغة البسيطة والسهلة التي تعبر عنها، حيث أصبح السرد فعلا رمزيا اجتماعيا، فالكتاب هم أنفسهم احد تجليات التهميش، فهؤلاء عمدوا إلى وضعها في السرد، إما عبر صوت المؤلف بشكلها الصريح أو عن طريق السخرية التي تظهر في الكتابات الإبداعية، ومن هنا نرصد ملامح أدب الهامش وهي كالآتي:

[1] ارثر ايزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، تر: إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ط 01، ص 204.

3ــ1ــ المحاكاة الساخرة: وهي لا تعني:(مجرد الاستهزاء والانتقاص من اللامرغوب فيه من سلوكيات مجتمع المركز وممارسته ضد الهامش إنما هي تقدم بديلا إيديولوجيا وأخلاقيا لتلك السلوكيات لأنها تمتلك وعيا انتقاديا مضادا يفضح الخطاب المضاد، كاشفا سره فاضحا ممارسته كما تقدم المحاكاة الساخرة رؤيا بديلة للواقع المقصي)[1].

من خلال رأي هويدا صالح يتضح لنا أن المحاكاة الساخرة ليست وسيلة فقط للسخرية والاستغلال والانتقاد السلبي اللامرغوب فيه، وإنما هي وسيلة لفضح المسكوت عنه في مجتمع ما، فهي من الحلول والبدائل الايجابية التي تعالج مشاكل الواقع المعيشي، وباعتباره أداة فنية ووسيلة تعبيرية لواقع المهمش سواء كان ذلك شعرا أم نثرا.

وتعد المحاكاة الساخرة من أهم الأساليب والطرق التي يلجأ إليها المبدع خوفا وتهكما من وضع معين، فهذه السمة كانت موجودة منذ قديم الزمان حيث اتخذها الأدب العربي أداة فنية للتعبير و تصوير واقع المهمش في قالب إبداعي وفني جميل.

وكذلك نجد الناقدة هويدا صالح قد تطرقت إلى الغاية أو الفائدة من هذه الأداة الفنية قائلة:(الغاية من المحاكاة الساخرة ليست مجرد الإضحاك ــ وان كان الإضحاك يستحق الجهد والسعي ــ بل نقد أوضاع أو أفكار تهدد المجتمع من وجهة نظر المؤلف. ومن خلال النقد تسعى المحاكاة الساخرة إما إلى إحداث

[1] هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الأدب، ص 226.

التغيير أو منعه، ومن هنا تكمن إنسانيتها، فهي تحاول أن تبقي على مايراه المؤلف صالحا وأن تقاوم مايراه المؤلف خطرا يهدد المجتمع)[1].

من خلال رأي هويدا صالح نجد أن الغاية من المحاكاة الساخرة ليس مجرد إحداث السخرية والمتعة النفسية وبث البهجة في نفوس المستمعين، وإنما هي طريقة لمعالجة أحوال المجتمع فهي من الأساليب المهمة في طرح قضايا المجتمع وإعطاء الحلول من أجل التغيير، فغايتها أكثر من ذلك، هي نقد بناء للأفكار والأوضاع التي يعيشها المجتمع في حياته فهي أداة فنية إبداعية وجمالية يتخذها المؤلف لتقديم وجهة نظره والتعبير عن كل ما يجول في خاطره من أحاسيس ومشاعر أرقته، وذلك لمعالجة القضايا المهمة في واقعه المعيشي، فهي تحاول جاهدة تحسين الأوضاع المعيشية، وتصد الأخطار التي تهدد المجتمع، فكل النقد من أجل شيء ايجابي وهو تحسين وتغيير الظروف والعيش بسلام واطمئنان، فهذه غاية الأديب والمفكر في العمل على تشكيل عمله وإبداعه في المحاكاة الساخرة.

3ـــ2ـــ سمة الميتاسرد: من ميزات كتابة الهامش وبالخصوص السردية منها وهو نوع أدبي هامشي يتصدر الأجناس الأدبية السائدة، والدفاع عن أهميته والدور الكبير في نقل وتصوير القضايا الاجتماعية، باعتبار أن السرد الأدبي هو الجنس الذي يستطيع رصد الهامشي، وتتبع تفاصيل القضايا والموضوعات المسكوت عنها، وهنا تكمن خطورة السرد لأنه يكشف المحظورات ويبحث عنها في تفاصيلها الدقيقة والخطيرة منها، فنجد أن أدب الهامش اتخذ تقنية السرد والحكي للتعبير عن الواقع وجعل منه الأساس في تصوير قضاياهم للطرح والمعالجة، لأن السرد له القدرة على رصد التفاصيل والجزئيات، ويتمكن من عرض المشاهد على حقيقتها، وباستطاعته أن يكشف التناقضات فيها، فكان الفن المثير والمشوق لدى

[1] هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 226.

الكتاب وهذا نجده قليل في الشعر، فالسرد له الإمكانيات الهائلة التي تمكن الأدباء من التصوير بدقة ورصد أحوال المجتمع ومناقشة قضاياهم والإفصاح عن مشاكلهم ومعالجتها، وكذلك وصف الظروف الصعبة للمهمشين والمقهورين فيه، فمناقشة مسألة الكتابة في السرد، وكذلك كتابة القضايا والموضوعات للكتاب داخل إبداعهم السردي، آتية من إحساس الكتاب بالإقصاء والتهميش ومقاومة الصورة السلبية والفكرة المأخوذة عنهم في ذهن المجتمع والعزلة والغربة التي يعانون منها في واقعهم المعاش[1].

4ــ رواية المهمش في المنظور النقدي:

تحدثت الباحثة هويدا صالح في كتابها " الهامش الاجتماعي في الأدب" عن جنس أدبي كثر الحديث عنه باعتباره يتخذ من المهمش موضوعا له وهو ما أسموه بالرواية البيكارسكية أو رواية الشطار والعيار أو رواية المحتالين وأهل الكدية وهي:(رواية تشتغل على البيئات المهمشة وتعنى بالفقراء والمهمشين الذين يقفون على هامش المتن الاجتماعي، ليس رغبة منهم في ذلك بل إقصاء لهم من مركزية المتن واهتمامه[...] وقد كان مهموما بتصوير حياة البيكارو أو الشطاري المهمش لذلك تنسب هذه الرواية إلى بطلها بيكارو(الشاطر) أو المغامر)[2].

والبيكارو هو شخصية شطارية وبطل مهمش ويحيا حياة غير هنيئة لأنه صعلوك ومتسول محتال ذو شخصية هزلية.

وتعريف شخصية البيكارو يؤكد على إقصائه واستبعاده من قبل المجتمع فهو مهمش وينظر إليه نظرة دونية وسلبية.

[1] ينظر هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 237.

[2] هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 117.

وعندما أراد النقاد العرب التنظير لهذا النوع من السرد الذي تشكل في اسبانيا ثم انتقل إلى فرنسا وألمانيا وانجلترا وأميركا مع ذلك الجنس في تراثنا العربي وجدوا فيه تشابها كبيرا مع الرواية البيكارسكية، فأطلقوا عليها عدة مصطلحات وتسميات فهناك من أطلق عليها اسم " الشطار" وكتبو نصوصا كثيرة حولها، وهناك من أطلق عليها مصطلح " الرواية الاحتيالية" وهناك من يطلق عليها مصطلح " الأدب التشردي" أو "أدب الكدية"، وهناك من يفضل الاحتفاظ بنفس المصطلح الغربي " البيكاريسك" وقد ظهرت تجليات وتأثيرات البيكارسكية في الأدب العربي المعاصر، في المشهد السردي المغربي من ناحية، والمشرقي من ناحية أخرى، لكن البداية كانت من المغرب، ربما يعود ذلك إلى قرب بلاد المغرب من اسبانيا بصفة خاصة وأوروبا بصفة عامة، وتأثرها بشكل مباشر بالرواية الأوروبية فوجدنا روايات لمحمد شكري(الشطار والخبز الحافي)، ومحمد زفزاف(المرأة والوردة ولعبة النسيان)، وبن سالم حميش(محن الفتى زين شامة)، ومحمد برادة(الضوء الهارب)، وهذه النصوص تميل لانتقاد الواقع وكشف قيمه الزائفة، وكشف الصراع بين القيم الأصيلة والقيم المنحطة كذلك تميل إلى كسر مركزية اللغة فتمزج بين اللغة الفصيحة (المتن)، واللغة العامية المحكية (الهامش)، فحتى على مستوى اللغة تحاول أن تعلي من شأن الهامش وتنتصر له [1].

قامت الكاتبة يمنى العيد في كتابها " الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية" بالبحث في فصله الأول حول ما أسمته المرجعي وفنيته الروائية حيث حاولت من خلال هذا العنوان الكشف عن دور المرجع أو المرجعي وهو في منظورها الواقع بكل تفاصيله المعيشة، في تشكيل عالم الرواية حيث تقول في مقدمة الكتاب:(ليس ماقدمته في هذا الكتاب بحثا في الواقع المرجعي أو في المدلول، أو في المعاني أو

[1] ينظر هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 117ــ131.

في الموضوع، أو في الحكاية... بل هو بحث عن الأثر، أثر الواقع المعيشي، وبصفته المرجعية، وفي شكل بنية عالم الرواية)[1].

وبناءا على ذلك توغلت الناقدة في محاولة منها للكشف عن المرجعي المهمش وبيان دوره في صنع الحدث أو الشخصية وتوصيل فكرها ضمن الواقع.

ب- المبحث الثاني: أنواع التهميش وقضاياه

1ــ أنواع التهميش:

1ــ هامشية إرادية: ونعني به أن الهامشية: (كوضعية مختلفة تنتجها اختيارات إرادية لدى الفرد هروبا من التنميط وتفجيرا للنموذج فتكون هامشية إرادية تختلف في مسبباتها عن الهامشية المسلطة)[2].

من خلال التعريف يتضح لنا أن الهامشية الإرادية تكون ناتجة عن حرية الفرد، واختياره لها برغبة من الذات في حد ذاتها، دون أي ضغط خارجي، وذلك

[1] يمنى العيد: الرواية العربية(المتخيل وبنيته الفنية)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 01، 2011، ص 09.
[2] هويدا صالح: المرجع نفسه، ص 48.

هروبا وابتعادا عن النمط والمعيشة الضنكة والصعبة، نتيجة الحالة المزرية التي يعيشها بحيث يغيرها بنمط آخر يجعله متنفس له لعله يكون أحسن حالا.

2ــ هامشية مسلطة: وتعرف الهامشية المسلطة على أنها: (تكون نتيجة لممارسات تمييزية أو فرز اجتماعي يستعبد الآخر ويبخس اختلافه وينفي عنه آية قيمة، لأنه غير متماثل مع المركز، والسياسة المركزية العامة، من خلال نبذ المختلف والمضاد له بغاية وجود مطمئن للذات المركزية)[1].

تؤكد الباحثة والناقدة هويدا صالح أن الهامشية المسلطة تكون نتيجة ممارسات القمع والظلم والتمييز بين طبقات المجتمع فذلك الاستعباد والإقصاء الذي ينفي وجود الذات ورفضها تماما من طرف المسلط ذلك يولد انفجارا لا يحمد عقباه فحجم التهميش يعتبر ممارسة ضاغطة عليه، سواء كان ذلك في المجتمعات الراقية أو المختلفة، فتلك الوضعية التي يعيشونها تفرض وتستدعي طلب التغيير.

ومنه نستخلص من خلال ذلك النوع الأول له علاقة بالحالة النفسية والشعورية الذاتية أو تكون مكتسبة من خلال وضع معيشي معين، فعبر مرور الأزمنة تتحول إلى أمراض نفسية مختلفة، تنتج عنها سلوكيات وممارسات غير مضمونة وخطيرة، كالعنف بشتى أنواعه وأشكاله وهذا من المؤكد قد يحدث بسببه خلل في الميزان المجتمعي، أما النوع الثاني فهي ظاهرة موجودة في واقعنا كالذي تمثلناه في أيامنا هذه، مما يحدث من خلال ثورات الربيع العربي.

2ــ الرواية وتمثيلات الواقع في المجتمع المهمش:

تمثلت فكرة الواقعية بعد اكتمال الأساس الفلسفي للنظريتين الوضعية والتجريبية حيث كان معناه الإيمان بواقعية الأفكار.

[1] هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 48.

وهي حسب رأي السعيد علوش في "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة " بأنها: (عقيدة تقترح معرفة، دقيقة وموضوعية بالواقع، كخاتمة للنشاط الأدبي، وتؤكد(الواقعية الساذجة)، في تعارضها مع (الواقعية النقدية)، على واقعية ما يظهر لنا من أشياء، من جهة، وعلى الميزات الحسية، المندمجة في طبيعة الأشياء ذاتها، من جهة أخرى)[1].

أي أن الواقعية الساذجة تصور الواقع السلبي وتنقله لنا بطريقة ساخرة تهكمية بغرض معالجة ذلك الواقع، أما الواقعية النقدية فتنقله ألينا بموضوعية ومصداقية بحيث تميل إلى رصد جانب الظلم والشر والواقع المزري الذي تعيشه المجتمعات، وتحاول تصوير الواقع على ما هو عليه.

وبداية الواقعية كانت عبارة عن دعوة بدأت في أواسط القرن التاسع عشر كرد فعل على المدرسة المجازية التي تؤمن بالخيال والجمال وطغيان الجانب الشخصي، لذا جاءت الواقعية لتنكر النزعة الذاتية التي تبتعد عن الواقع المعيشي الذي فيه القبح لا الجمال فحسب.

وكان للفلسفة دور هام في نشأة وتطور الواقعية فهي في: (العصور الحديثة اتجهت الفلسفات نحو الواقع، واتخذت لذلك صورا وأشكال مختلفة، فكانت الفلسفة الاجتماعية أو الاشتراكية تعنى بإصلاح المجتمع لإسعاد الفرد، ثم الفلسفة الوضعية أو التجريبية، ثم الفلسفة المادية التي تجعل من الفرد صدى ونتيجة لعوامل مادية، وأخيرا فلسفة الوجوديين)[2] .

[1]السعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط01، 1985، ص 232.

[2]محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر،[د، ط]، 1997، ص 311.

فقد اتجه الفن نحو الواقع بفضل تأثير الفلسفات بمختلف توجهاتهم خاصة الفلسفة الوضعية أو التجريبية القائمة على التجربة، والسيادة لسلطان العلم.

الواقعية جذورها ضاربة في القدم واستعمالها يرتبط بالطبيعة في صدق تصويرها أي محاكاة لها، ويركز المذهب الواقعي على وصف المجتمع الإنساني على حقيقته بكل جرأة ومصداقية، وتتجسد الواقعية من خلال تطبيق مبادئها من خلال الفن والأدب وتؤكد أن جوهرها يكمن في الموضوعية والصدق الفني.

تنوعت أسماء الواقعية وتفرعت واختلف النقاد في وضع مفهوم شامل لها، وذلك لتعدد السياقات التي ترد فيها، حيث يقول كارل منهايم: (إن الواقعية تعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة)[1].

وبما أن الرواية هي عبارة عن نسيج اجتماعي لذا فالنص الروائي هو الذي لايصور المكنون الحقيقي للواقع الراهن بما يحتويه من تناقضات، وتداخلات من خلال شخوصه الروائية، ينتقي الواقعيون شخصياتهم من الطبقة الوسطى وتسمى عند الغرب البرجوازية، ومن الطبقة العاملة(البروليتاريا)، وذلك بتصوير ما تعانيه هاتان الطبقتان خاصة العاملة من تيه وضياع واضطهاد جراء قسوة المجتمع، وما يهم المجتمع مشكلات عصره، والكاتب الواقعي يبتعد عن عالم الأساطير والخرافات والأحلام والوحوش فالذي يهم هو الإنسان بمشاعره من أفراح وأحزان وآماله وتطلعاته، الإنسان المرتبط بأرضه وطبيعته وكيانه وما يحيط به من الناس من مختلف الطبقات والأجناس.

نشأت الواقعية في أدبنا العربي كما يؤكد العديد من النقاد على وجود جذورها منذ القدم، لكن العربي القديم كان قوميا بامتياز وأمان ومنفعة قبيلته هي

[1] صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف القاهرة، مصر، ط02، 1980، ص33.

كيانه، وهذا يجرده من الالتزام فهو أدب ملتزم، وبطبيعة الحال القديم يختلف عن الحديث.

وقد: (وجه النقد الأدب إلى هذه الواقعية، فظهرت بعض أعمال قليلة في القصة القصيرة، وفي الرواية والمسرحية المعاصرة، متأثرة بهذا الاتجاه، من مثل بعض قصص يوسف إدريس القصيرة، وأرض النفاق ليوسف السباعي، ورواية الفلاح الجديدة للشرقاوي، ومن مثل مسرحية طريق السلامة لسعد الدين وهبة، وغيرها من الآثار الأدبية الواقعية)[1].

أخذ مصطلح الواقعية في الانتشار في الوطن العربي، لتصبح فيما بعد أهم المذاهب الأدبية التي تأثروا وأثروا بها الكتاب العرب، ولهذا ألف النقاد العرب العديد من الكتب النقدية التي حاولوا من خلالها الإلمام بجميع نواحي الواقعية وبمظهراتها، التي مازالت آثارها راسخة على مر الزمن في سماء الأدب العربي.

3ــ قضايا أدب الهامش:

أدب الهامش ظاهرة من الظواهر التي اكتسحت المشهد السردي بامتياز، حيث أبدع الروائيون من خلال انتاجاتهم الإبداعية، بحيث جعلوا منه جسرا للتواصل مع الواقع والحياة في أكثر صورها البائسة والمقهورة، ونجد عديد الروائيين الذين أنتجوا روايات تعبر عن فئات الشعب التي تتجانس مع كل أسباب المعاناة، ومظاهر التهميش والإقصاء الاجتماعي ومظاهره في العالم، فقضايا التهميش تتعدد صورها بين كل الفئات المجتمعية في الواقع، وذلك بين غياب

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط01، 1995، ص 157.

الصفة القانونية والتمييز والوضع الاجتماعي الهش، وضعف الحقوق السياسية والاجتماعية وغيرها من الأسباب، فمن القضايا الهامشية نجد:

3ـــ1ـــ قضية الهامش الديني: نجد أن فكرة الطائفية الغربية أثارت احتقانا كبيرا في جل المجتمعات فانتشرت بشكل عام في كل المجتمعات وبخاصة في مصر، وتطورت بفضل الاحتكاكات الاجتماعية باعتبار أن مصر كانت تعيش في فترة استقرار وامن وتعايش سلمي فيما بين الأقباط المسيحيين والمسلمين، فكانت الحياة تسير بشكل اعتيادي مبنية على احترام الحريات والتعايش السلمي وممارسة الطقوس الدينية بكل حرية، إلى أن تحولت إلى وقائع عنف الطائفية، وأفرزت بذلك فئات متطرفة على الجانبين وطبعا هذا مخطط غربي، فبدأت في تضخيم فكرة التمييز الديني غير المقبول.

ودقت نواقيس الخطر في منطقة البلاد العربية الإسلامية في مصر أمام مجتمع يحمل صفات التماسك الاجتماعي والتعامل المشترك ونلمسه من خلال إقامة مناسباتهم السعيدة، وإقامة الرحلات الترفيهية، وممارسة الشعائر الدينية وإقامة الكنائس... الخ، فبعدما دخلت فكرة الطائفية القومية التي بثها الغرب في المجتمع الإسلامي هدفه تفكيك وحدته وزعزعة استقراره، فدمرت تلك العلاقات وأصبح التمييز منتشرا، وأصبح الجو يسوده الانعزال والتعتيم، وجعل الآخر يبني تصورات غامضة عن الديانتين الإسلامية والمسيحية ومجتمعاتها، وان دراسة صورة الهامش الديني في السر تلمست حياة الجماعة المسيحية في تفاصيلها اليومية فنجد الروائي المسيحي يسرد ويصور هموم شخوصه وواقعهم في مصر، لذلك ذكرت هويدا صالح في كتابها" الهامش الاجتماعي في الأدب" عدة أعمال روائية تناولت هذه القضية بكل جزئياتها ووقائعها، منها رواية" الثلاثية" لنجيب محفوظ الذي قدم هموم المسيحي في رسم صورة < رياض قلدس> وجعل منه

البطل المهمش، وفي الأخير عندما دق ناقوس الخطر انطلقت العديد من المبادرات الرامية إلى تصحيح الخلل، شاركت فيها مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، حيث أجروا عدة حوارات مع كافة الأطراف المعنية وأعدوا القوانين اللازمة للتمييز وإعلاء قيمة المواطنين وجعلوا من الوحدة أساسا للتعامل الجماعي، وشملت مشروعا بقانون للبناء الموحد لدور العبادة وآخر للمساواة وتكافؤ الفرص وسعت مقترحاته إلى معالجة أوجه التمييز التي عانت منها بعض الديانات الصغيرة، بسبب انتشار فكرة الطائفية الغربية، التي حاولت زعزعة الأمن والوحدة الوطنية والإسلامية في مصر، وذلك من روايات نجيب محفوظ التي تتحدث عن هموم المسيحي فقط في مصر وكأن المسلمين يمارسون أشكال العنف والتمييز بين الطوائف الأخرى وذلك من رسمه لصورة شخصية < رياض قلدس> هذه الرواية التي ترمي إلى أهداف غربية وسياسية وذلك لتشتيت الوحدة وانتشار الفتنة بينهم، فالواقع يثبت عكس ذلك فالعالم الإسلامي ومجتمعه مهمش في كل مكان يعذب ويقتل ويشرد ويحرض على قتل بعضهم البعض بتشكيل الجماعات بحجة الدفاع عن الإسلام، فغسيل الأدمغة وزرع الحقد والفتن في شبابها، فهذا ليس تهميشا إذن، وهل حقا أن المسيحيين مهمشين في مصر حتى الآن؟ وان كان كذلك فماذا عن المبادرات التي قام بها المجتمع الإسلامي في إيجاد الحلول ومعالجة الأزمة لتصحيح الخلل، والتي شاركت فيها مؤسسات والمجتمع المصري.

ففكرة الطائفية هذه فكرة غربية بامتياز هدفها القضاء على الإسلام والمسلمين في كل مكان وذلك عن طريق انتشار الأفكار الخطيرة بين الشباب العربي وإقناعهم بها بحجة الدفاع عن الدين وغيرها من الأفكار المسمومة في ظاهرها ايجابية وفي باطنها حرب وجحيم، فأفكار الغرب لم يسلم منها العالم الإسلامي فالحقد متواصل وفكرة أن المسيحيين مهمشين فكرة خاطئة لا أساس لها

من الصحة وأن فكرة الطائفية ذات منطلق فكري إسلامي خاطئ لأن الغرب يصدر الأفكار السلبية والخطيرة ويقوم بتشويه العالم الإسلامي بها فيعطي صورة وكأنها حقيقة عنهم، وهدفه بث الأفكار في شبابها وأمتها بتزوير الحقائق وتعتيمها لتصل إلى أهدافها ألا وهي زعزعة استقرار الأمة الإسلامية وكذلك إقامة حروب دامية وإراقة شعوبها وتهميشها وممارسة أشكال العنف والقسوة وهذا كله من أجل استعمارها ونهب خيراتها وان تصبح القوة المسيطرة في العالم والهدف الأكبر والأخطر محو الديانة الإسلامية على الأرض وأن يصبح العالم العربي عالم ضعيف تابع متخلف تتحكم به هي كما تريد، وفكرة الطائفية من أفكارها المخطط لها فأرادت إن تثبتها في مصر وذلك من خلال كتابات وروايات نجيب محفوظ من بينها رواية "الثلاثية" التي سلطت الصورة على المهمشين المسيحيين فقط وكأن العالم الإسلامي هو السبب في نشر التمييز والطائفية وتهميش المسيحيين وممارسة العنف والظلم عليهم، فأفكار هذه الرواية خاطئة ومحتواها مبني على أهداف مخطط لها ومدروسة جيدا لضرب الإسلام والمسلمين في مصر، ويبقى السؤال مطروح هل حقا أن المسيحيين مهمشين في مصر الآن؟ وإن كان كذلك ماذا عن تهميش المسلمين في كل مكان؟ والواقع يتكلم لوحده لا يحتاج إلى الأدلة ليثبت ذلك.

3ـــ2ـــ الهامش الجغرافي:

يلعب المكان في الرواية دورا كبيرا بحيث يجعل الشخصيات الهامشية تتحرك فهو يشكل وعي الشخوص، فيه تتبين فيه سمات الحياة الاجتماعية والثقافية

فهو الأكثر تأثير وتفاعلا في حياة الشخصيات الهامشية، التي تكون السمة السردية الإبداعية، فنجد الباحثة هويدا صالح تطمح إلى إعطاء خصوصيات إلى تلك الأماكن الهامشية، التي أبدع الروائيون في وصفها، واتخذوا من المكان الهامشي طريقا لهم، حيث: (إن الأماكن الهامشية التي تحيط بالمركز تتعدد وتتنوع من بينها: البيئات البينية على أطراف المدن، والريف أو القرية، والبادية والصحراء، وتتنوع مقاربة الروائيين لهذه الأماكن مابين متعاطف معها، واقع في غواية خصوصيتها ودهشتها، فيجعلها البطل الرئيس في السرد، وبين آخر لا ينظر إليها بذات العين المندهشة، بل ينتصر للمدينة/ المركز ويجعل أبطاله يسعون إليها)[1].

ومن خلال هذا يتضح لنا أن الأماكن الهامشية متنوعة ومتعددة، فالمكان الهامشي يطلق عليه بالبيئات البينية الموجودة على أطراف وحواشي المركز وهي الريف والقرية ، الصحراء والبادية، ولكل خصوصياتها وميزاتها التي تتصف بها من نواحي عدة: (العادات والتقاليد، الطقس وأصناف الناس الذين يقطنون فيه...الخ)، والتي أثرت على الروائيين وجعلتهم يبدعون في وصفها ونقل صورها بكل الجزئيات والتفاصيل الواقعية، فمنهم المتعاطف معها، ومندهش في خصوصياتها المتميزة فذلك الاندهاش جعل منها بطلا رئيسا في السرد الروائي، أما الآخر ينظر إليها نظرة ازدراء وتصغير وينتصر إلى المدينة/ المركز، ويجعل من بطلها يسعى ويجتهد لكي يصل إليها، فهي بعيدة كل البعد يشبهها بالحلم الطويل والبعيد الذي يسعى الإنسان جاهدا لتحقيقه والوصول إليه عن طريق وصفها وصفا دقيقا جميلا فيجعل طبيعته ساحرة وجذابة تخطف القلوب والعقول.

3ـــ3ـــ الهامش الاجتماعي:

[1] هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 205.

نجد واقعية القاع أو الواقعية القذرة من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار أزمة الذات مع المجتمع، بكل فئاته العمرية والمستويات الثقافية، تكون تعاني من إقصاء وتهميش طبقي أو أوضاع مزرية أو استعباد من طرف سلطة أو مجتمع على مجتمع آخر، هذا ينتج منه التصادم والتأزم النفسي والإحساس بالغربة وكذلك انتشار الآفات الاجتماعية الفتاكة في الواقع المعاش في الحياة، فهو بمثابة سلب ونهب حياة كاملة لمجتمع ما، فالحياة المهمشة تكون مشحونة بالصراعات والحروب والاستعباد والظلم، وهذه تظهر في الفئات والأقليات الفقيرة والمعدومة، ولها نتائج سلبية تعود على الفرد والمجتمع منها، التأزم النفسي والشعور بالمذلة والاحتقار بسبب المعاناة التي يعانيها من طرف السلطة أو المجتمع في حد ذاته، والتهميش يقع على كل فئات المجتمع (الأطفال، النساء، الطبقة المثقفة، الشباب..).

4ــ الكتابة على الهوامش في المعنى التقني:

وهي تعني كل ما يدون على حواشي الصفحة حتى تعطي تفسيرا لما في المتن من مفردات مستصعبة، وشرح الأفكار المستغلقة التي يستعصي على القارئ فهمها وربطها بما في المتن، وهي بمثابة نص مستقل بذاته رغم موقعه في الصفحة حيث ترى هويدا صالح بأن الكتابة الهامشية كانت: (تلحق بالنص الروائي في أسفل الصفحة؛ لإضاءة المتن وتفسيره من جميع الجوانب ــ اللغوية والدلالية والتاريخية والمعرفية والاصطلاحيةــ وهي تشكل نصا مستقلا بذاته على الرغم من موقعه في هامش المتن)[1].

بمعنى أن موقع الهامش في معناه التقني يكون في أسفل الصفحة، لكن رغم موقعه الهامشي في الصفحة إلا أنه يشكل نصا منفردا بذاته حيث إنه يضيء ما كان

[1] هويدا صالح: نفس المرجع السابق، ص 40.

مظلما في المتن ويجلي كل الغموض الذي يلحق المفردات والأفكار في متن الصفحة.

والهامش في العتبات النصية ذو: (بنية مناصية ضرورية لفهم النص الروائي وتفسيره وتأويله، وهو خطاب ما ورائي، يعضد النص السردي الأساس، ويقويه كينونة وحضورا وتبئيرا وتركيزا، ويثريه فنيا وفكريا وذهنيا وجماليا، ويزيد من قدرته في العملية التواصلية والتداولية بين طرفي العملية الإبداعية)[1].

إذن عتبة الهامش دورها إعطاء مفاهيم حول النص الأصلي من خلال التفسير والتحليل والشرح والتوضيح، ويقويه ويثريه فهو خطاب ما ورائي يأتي لفهم النص الأساس(المتن) وهو يزيد من جمالية العملية الإبداعية.

[1]خليل قطناني:: عتبة الهامش وفاعلية الخطاب السردي في رواية "برقوق نيسان" لغسان كنفاني، كلية الدعوة الإسلامية قلقيلية، فلسطين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، المجلد 33(01)، 2019،ص 30.

الفصل الثاني :

صورة المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني:

أــ المبحث الأول:الأبعاد الموضوعية وعلاقتها بصورة المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني:

1ــ البعد التاريخي

2ــ البعد السياسي

3ــ البعد النفسي

4ــ البعد الديني

5ــ البعد الأخلاقي الاجتماعي

ب ــ المبحث الثاني:فنية تصوير المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني:

1ــ تصوير داخلي

2ــ تصوير خارجي

أ ــ المبحث الأول: الأبعاد الموضوعية في رواية " النداء الخالد" نجيب الكيلانـي:

استثمرت الرواية العربية الحديثة صور المهمشين مستفيدة من التراث العربي القديم شعرا ونثرا، وذلك بتصويرها للواقع المعيشي بثورتها على الظروف الاجتماعية التي كانت أكثر قسوة وشقاء، فكان المنوال السردي له الحصة الكبرى في تصوير أحوال المجتمع والتعبير عن قضاياه، فنجد من بين الروايات العربية التي اهتمت بهذا النوع رواية " النداء الخالد" لنجيب الكيلاني والتي عبر فيها عن أحوال المهمشين وصور واقع المجتمع المصري تحت وطأة الاستعمار الانجليزي، أثناء الحرب العالمية الأولى، بحيث صور لنا الشخصيات المهمشة التي كانت تعيش في ظل الاستعمار الانجليزي، وكذلك نقل إلينا صور في أماكن توغل إليها الاستعمار فدمرها فعانت الفقر والحرمان وأصبحت مقصية مهمشة، وكما هو متعارف في قرى مصر أن العادات والتقاليد شيء مقدس واعتراض شخص لهاته العادات يؤدي به للموت، لكن لا مستحيل للحب في وجه شابين أحبا بعضهما حبا عفيفا، ويرسلان لبعضهما رسائل يعبران فيها عن مشاعرهما، والحب العفيف، الحرب، المأساة، الظلم، نداء الحرية، العادات والتقاليد، والصراع بين المبادئ والأخلاق، كل هاته الأمور يجمعها الدكتور نجيب الكيلاني في رواية مشوقة ومليئة بالأحداث الواقعية التي حدثت مابين الحربين العالميتين أثناء استعمار الدول العظمى للدول النامية، وهذه الأحداث وقعت في مصر في قراها ومناطقها الشعبية من ريف وإحياء قديمة، ثم انتقلت الأحداث إلى مدنها، فالثورة المبنية على هدف محدد ومبدأ ثابت وتسعى لإنقاذ الوطن وليست مبنية على رغبات متقلبة وساذجة ستنتصر حتما ولو بعد حين، وهكذا كانت ثورة مصر أثناء الاحتلال الانجليزي بقيادة سعد زغلول، هذه الرواية أكثر من رائعة يبدع فيها الكاتب ببراعة ودقة

الوصف والتصوير، تكاد لا تخلو من رسالة في كل جزء منها من أول حدث إلى آخر حدث نداء خالد وهو نداء الحرية، وهي رواية خالية من الحشو والملل ينقلنا الكاتب بلهفة إلى سحر الريف المصري بعاداته وتقاليده وعلاقاته ومأساته في ظل عثرة الحرب وتضحيات الشعب المصري، ونذكر من أهم شخصيات هاته الرواية:

ــ أحمد أفندي: شاب طموح ومثقف وهو أحد أكبر رجالات الثورة ومن مسيري المظاهرات ــمن إبطال الرواية وهو يحب صابرين ابنة العمدة.

ــ صابرين: فتاة في مقتبل العمر مثقفة وتطمح أن تكون متعلمة، وهي تحب أحمد شلبي.

ــ الشيخ عنبة: رجل كبير في السن مثقف عاصر الشيخ جمال الدين الأفغاني، يحترمه كل أهل القرية وهو أحد زعماء المظاهرات والثورة.

ــ عبد العزيز شلبي: والد أحمد شلبي واحد زعماء الثورة.

ــ العمدة خلاف عبد المتجلي: والد صابرين وعمدة القرية واحد رجال الثورة.

ــ الخواجة يني: يهودي الأصل يقوم بالاستيلاء على الأرض وعلى خيراتها ويحتال على أهل القرية.

ــ أبو المعاطي الشافعي: حاول قتل الخواجة يني ودخل السجن ثم خرج وأصبح من كبار زعماء الثورة.

ــ خفاجة: اختاره الخواجة ليكون حارسه الخاص وخادمه المخلص.

ــ الحاج إبراهيم: وكيل أعمال الخواجة وأحد أتباعه المخلصين.

ــ يوسف الجندي: شاب مناضل يقود الشعب في المظاهرات وهو صديق احمد أفندي.

ــ أبو الذهب: الطفل الشهيد.

ــ أم أحمد: زوجة عبد العزيز شلبي.

ــ أم صابرين: زوجة العمدة خلاف عبد المتجلي.

1ــ البعد التاريخي:

إن ظاهرة التهميش طالت المجتمع في مختلف العصور فحتى المجتمع الجاهلي لم يخل من الحرمان والإقصاء من قبل سلطة القبيلة، وبالتالي وجدت فئة من الشعراء لا تجد حرجا في أن تكون على هامش المجتمع وسميت هاته الفئة بالصعاليك والمتمردين، ونجد بعض الشعراء تغنوا بقيم الصعاليك والمتمردين على نظام القبيلة الصارم من بينهم نجد عروة ابن الورد[1] الذي ميز بين الصعلوك الحقيقي والصعلوك المزيف بقوله:

1. لحا الله صعلوكا، إذا جن ليله مصافي المشاش، آلفا كل مجزر
2. يعد الغنى من نفسه، كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
3. ينام عشاء ثم يصبح ناعسا، يحت الحصا عن جنبه المتعفر
4. قليل التماس الزاد إلا لنفسه إذا هو أمسى كالعريش المجور
5. يعين نساء الحي ما يستعنه ويمسي طليحا، كالبعير المحسر
6. ولكن صعلوكا، صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

[1]عروة ابن الورد: هو ابن زيد عمرو ينتهي نسبه إلى عبس بن بغيض، وهو يعد من الصعاليك المقدمين الاجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، توفي نحو سنة 596م.

7. مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم، جزر المنيح المشهر
8. إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه، تشوف أهل الغائب المنتظر
9. فذلك إن يلق المنية يلقها حميدا، وإن يستغن يوما فأجدر[1].

رغم وصف عروة ابن الورد بأنه مارق من نظام القبيلة ومتمرد عليه، إلا أنه لا يرضى لنفسه أن يكون صعلوكا يتكل على غيره في توفير قوت يومه، فهو يرى أن الرجولة والشجاعة وعزة النفس قيم يمكن أن تتجسد حتى عندما يكون صاحبها في وضعية المهمش، وبهذا فعروة ابن الورد قد أسس لثقافة المهمش.

وحتى في عصر الإسلام مورس التهميش على خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم حين جاء بالدعوة الإسلامية، فقد نبذ واستبعد من طرف قومه وقابلوه بالرفض ومارسوا عليه مختلف أنواع القهر والظلم والاستبداد، فجاء القرآن والسنة النبوية لينفي استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وبذلك كل أنواع القمع، والطبقية، والتفرقة، والعبودية، وهو ما نجده كذلك في فترة الخلفاء الراشدين الذين عملوا على بناء امة يسودها العدل والمساواة، فنجد مثلا عمر بن الخطاب يقول: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، ومن أكثر ما نجده في كتب التاريخ الحالة التي كانت عليها ارض المسلمين خاصة في فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز من ثراء ونعيم ووئام وتضامن ومواساة فهو من قال: انثروا القمح فوق رؤوس الجبال حتى لا يقال جاع طير في بلاد المسلمين، وهو دليل على قمة الخير والأخلاق والعدل الذي كان سائدا آنذاك.

[1] عروة ابن الورد: ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، د ــ ش ــ ت: أسماء أبوبكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط01، 1418ــ 1998، ص 37.

وفي العصر العباسي نجد المتنبي الذي همش من طرف مجتمعه كمثقف، فلم يجد لنفسه موقعا في مجتمع عصره فقال:

أي محل أرتقي؟ أي عظيم أتقي؟

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق

محتقر في همتي كشعرة في مفرقي.

إن قول المتنبي كان كردة فعل على وضعية التهميش التي آل إليها بسبب رفضه أن يكون شاعر بلاط في مجتمع يحكمه الرياء والنفاق والتمسح بأعتاب السلاطين، لذلك أسس لنفسه قيما خاصة، وأقام مملكة الساسة والسلاطين في عصره.

أما في عصرنا الحديث فتتجلى الهامشية في تسلط الدولة على المجتمع قتل كل استقلالية فيه وممارسة السلطة عليه سواء من قبل المسؤولين على الدولة أو من تدخل قوى خارجية أي الاستعمار[1].

إن المتتبع لمجريات أحداث الرواية يجد بأنها حدثت خلال فترة الاحتلال الانجليزي لمصر الذي دام نحو 74 عام، وبدأ الاحتلال الانجليزي لمصر مع قيام الأسطول الانجليزي بقصف مدينة الإسكندرية في 11 يوليو من عام 1882، وأعلن الزعيم أحمد عرابي التعبئة العامة، والتجنيد لمحاربة الجيش البريطاني، ودخل الجيش المصري في معارك مع الجيش البريطاني.

[1]ينظر عمر الزعفوري: التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة (رؤية تحليلية من منظور بنيوي)، مجلة عالم الفكر، المجلد 36، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص 187ـــ189.

ثم:(تشتعل نيران الحرب العالمية الأولى (1914) فإذا بالانجليز الذين أعلنوا بالأمس أنهم باقون في مصر مؤقتا حتى ترسخ أقدام الخديوي، يعودون ليعلنوا أنهم باقون لحماية مصر من غدر الترك والألمان.. وتعطل الحياة الديمقراطية ويصبح قائد القوات البريطانية أو المندوب السامي هو الحاكم الفعلي في البلاد..)[1].

وظل الاحتلال البريطاني في بعد أن كانوا يقولون بأنهم باقون فيها مؤقتا و: (انتهت الحرب عام 1918 بانتصار الانجليز وحلفائهم)[2].

وتم القضاء على الخطر الذي يهدد بقاء الانجليز في مصر وبذلك ضمنت سيطرتها على مصر، ولكن الشعب المصري أصبح يعي ما يرمي إليه الاحتلال الانجليزي ليس كما يدعي لنشر الثقافة بين الشعوب المصرية بل لنشر الظلم والاستبداد والاستيلاء على خيرات البلاد ونهب ثرواتها:(وهكذا قامت ثورة 1919 في مارس.. إن < سعد زغلول> لم يعط الإشارة، ولا أحد من الزعماء ثم الأحزاب، أفواج الشباب والرجال هي التي ثارت يوم أن منع الانجليز سفر الوفد..ثم ألقى القبض على بعض الزعماء، سارت المظاهرات سلمية في كل مكان)[3].

فعندما استفاق الشعب المصري ثار ضد الاحتلال بطرق سلمية عن طريق المظاهرات في كل مكان من مصر كان طوفانا هائلا:(وتدور المعارك الدامية

---

[11]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 38ــ39.

[2]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 148.

[3]نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 108.

العنيفة، ولا يبلغ الطوفان مجراه الأصيل إلا في عام 1952، حيث يتحول الطوفان إلى نهر للحياة، يمد الأرض الطيبة بالنماء والخصب والحرية)[1].

بحيث أن الاحتلال الانجليزي ظل في مصر حتى أصدرت بريطانيا الإعلان الأحادي الجانب بالاستقلال لمصر عام 1922، ثم المعاهدة المصرية الانجليزية 1934، وعادت السيطرة التدريجية لملك مصر، وبحلول عام 1934، حصلت مصر على استقلالها الكامل وانتهى التواجد الانجليزي رسميا وفعليا في أعقاب ثورة يوليو، باتفاقية الجلاء، وخروج آخر جندي بريطاني من مصر في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

2ــ البعد السياسي:

إن الجانب السياسي كان له دور فعال في الالتفات للهامش من طرف الروائيين، كما أن المجتمع المدني ومؤسسات الحقوق المدنية كان لها دور في المطالبة بحقوق المهمشين والالتفات لهم، فجاءت هذه الانتفاضة كردة فعل على الظلم والاستبداد السياسي، والقوانين الردعية المطبقة على فئات وشرائح المجتمع المختلفة وهذا بسبب فرض الهيمنة والسيطرة السياسية، عندما نتعمق في الغايات والأهداف التي تفرضها سلطة سياسية استعمارية على دولة ما، وهذا ما يراه الكاتب حسن نجمي في كتابه "شعرية الفضاء:(المتخيل والهوية في الرواية العربية)" في قوله:(إن المنظور السياسي عندما يصبح محددا، فلا شيء في الفضاء باستطاعته أو بإمكانه أن ينفلت من هيمنة السلطة وامتداداتها الرقابية،

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 224.

فالسلطة تريد أن تراقب الفضاء بأسره وأن تحفظه منفصلا أو متصلا متشذرا أو متجانسا مهما كانت الصعوبات والتحديات المطروحة)[1].

ومن خلال هذا القول نفهم أن الجانب السياسي عندما يكون فارضا سلطته وسيطرته نجده يستولي على كل النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من دون أي استثناء، فتكون تلك الهيمنة مستولية على كل شيء، إلى درجة أن النظام الأصلي لدولة ما يصبح تابعا وأسيرا لنظام الدولة المسيطرة فتحتضن كل الأنظمة وبهذا تصبح تتحكم في كل فضاءاته وجوانبه مقلدا النظام الاستعماري، فيصبح ظلاما مخيما على المدينة المستعمرة، وهذا يؤدي إلى زيادة الفئات المهمشة وكذلك إخراج جزء كبير من المجتمع من القرارات السياسية المركزية، وهذه كلها ظروف مسببة لصفة التهميش.

نسج العديد من المبدعين والكتاب صور مختلفة ومتنوعة للمهمشين، وصوروا حالاتهم ورصدوا واقعهم في أنواع شتى من الظلم والعذاب في قالب أدبي فني جميل وهذا ما نلمسه في روايات عديدة من بينها رواية " النداء الخالد" لنجيب الكيلاني الذي صور وأبدع في نقل وتصوير الواقع المعيشي في مصر من مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والنفسية.

يعد الوطن منبعا للأمن والاستقرار، وبطبيعة الحال فإن مصر كانت هي الوطن الأم لسكان مصر وبالتالي كانت كل مجريات أحداث الرواية فيها، في مدنها وأريافها، فهو البلد العزيز عليهم والأم التي تحويهم، لكن في عام 1914 اشتعلت نار الحرب وبدأ الصراع السياسي في مصر، فمنذ دخول القوات الانجليزية وسيطرتها على المناطق المصرية وأخذ أملاكها، وصار المجتمع تحت

[1] حسن نجمي: شعرية الفضاء:(المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، ط01، 2000، بيروت، لبنان، ص203.

وصايتها وسيطرتها، فاستعمال كل وسائل التعذيب والإقصاء على المجتمع، شتت جمعهم وصار القوي يأكل الضعيف ولكل مصلحته إلا القلة القليلة التي يهمها أمر البلد، فصار الأمان خوف وقلق على مصير مجهول تحت وقعة الاستعمار، والمخرج صعب من هذه الأزمة السياسية، ولم يكتف الاستعمار في بث الرعب بل تعدى ذلك إلى التآمر على أبنائها لمشاركتهم في الحملة الجديدة التي ستتواجه بها ضد الأتراك والشام، وذلك بإرسال جنودها إلى ميدان القتال وممارسة الأعمال الشاقة استعدادا للحرب، فنجد القوات الانجليزية أصدرت قرارا بإرسال سبعون ألفا من المواطنين لخدمتها ومن بينهم أبو أحمد شلبي عبد العزيز شلبي الذي اعتقلوه من عقر داره وأرسلته مع البقية للاستعداد لخوض المعركة، وكان أحمد متأكد من أن العمدة هو السبب في إرسال أبيه والعديد من رجال القرية إلى ميدان القتال حيث نجده يقول:

(إن ما حدث يحدث كل يوم منذ أن اشتعلت الحرب 1919. ألا تعرفون؟ كلكم لا تجهلون الحقيقة المرة.. والعمدة يستغل الظروف القاسية، ويدوس على ضميره وينتقم من أعدائه، لقد دبر الأمر بليل، وهكذا قبضوا على أبي في مدينة < زفتي> اليوم.. قبضت عليه السلطة كي يبعثوا به إلى ميدان القتال في خدمة القوات الانجليزية..)[1].

وفي سرد الأحداث يواصل أحمد شلبي في وصف الأعمال الشاقة وذكرها، التي سيكلف الاستعمار الغاشم أبوه والسبعون الذين معه في استعداد للحرب، بشق الطرق والعمل الذي تلزمهم به الحملة الجديدة ضد الأتراك والشام، وفي الأخير أخذ أحمد يكرر بأن أباه لن يعود أبدا لأنهم أرسلوه إلى الصحراء ذلك اللهيب القاتل الذي عادة من يذهب إليه لن يعود أبدا، فالصحراء مكان مهمش وهو بمثابة

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 09.

سجن أبدي ينفى إليه دون الرجوع منه والذي وصفه الكاتب باللهيب المسموم والجحيم القاتل الذي ينفى إليه أغلب سكان مصر لخوض المعارك ضد الأتراك والشام وكذلك فرض العقوبات من طرف السلطات الانجليزية، فهذا أحمد لا يفتأ يردد:(ولن يعود أبي.. سيموت في لهيب الصحراء كما يموت الآلاف غيره)[1].

ومن هذا النموذج يتضح أن القوات الانجليزية تمكنت من احتلال مصر وطبقت سياستها القمعية على أبنائها فشتت وحدتهم وبثت فيهم الرعب والقلق والحزن وعانوا من ويلات التعذيب والظلم الذي يحدث كل يوم، وأصبح الشعب أسيرا مهمشا تحت سلطة الاستعمار الانجليزي، فصار هو المركز الآمر الناهي في كل شيء، أما الشعب المصري أصبح مهمشا يعاني أنواع التهميش السياسي الظالم وتطبيق القوانين الردعية والإقصاء المستبد من طرف القوات الانجليزية، إلا أن المجتمع المصري ككل لا يريد الخضوع والاستسلام خاصة النخب المثقفة من الشباب الذين يريدون التخلص من استبداد وظلم المستعمر وويلات الحرب، كشخصية أحمد شلبي مثلا الذي يحاول أن يبحث عن حلول لهذه الأزمة السياسية التي حلت ببلاده، فيقترح حلولا لعله يتخلص من هذه الأزمة فهو يحاول البحث عن حلول لإيقاظ مجتمعه وبث الوعي السياسي فيه للنهوض والدفاع عن الحريات المسلوبة واسترجاع الوطن، فنجده يلوم نفسه قبل أن يلوم المستعمر والسلطان، لان المجتمع ككل يجب أن يتحمل مسؤولية ذلك على استسلامهم وخضوعهم للمستعمر، فنجده يسأل نفسه لماذا اللوم كله للاستعمار وللسلطان، فهذا ليس تبريرا أو حجة لذلك الخضوع والاستسلام وإنما بإمكان الشعب أن يقوم بثورات وانتفاضات وكذلك عصيان مدني يعم البلد برمتها لمنع الظلم والاستعباد من المجتمع والحكام والأمراء وغيرهم ممن لديهم سلطة وأعمال إدارية فبتوقف تلك

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 09.

الأعمال وإحداث اضراب عام حتما سيتوقف الظلم، فاقترح أن يمتنع أصحاب السلطة عن تلبية الأوامر التي تأتيهم من السلطان، فهو يريد إقامة عصيان مدني شامل وإيقاف جميع الأعمال وذلك لكف الظلم واستجابة لمطالب الشعب المهمش المحروم، بقوله:(لماذا نخدع أنفسنا دائما؟ لماذا نلقي التبعة كلها على الانجليز والسلطان؟.

ــ لأنها حقيقة لا مراء فيها..

ــ بل الحقيقة أن خنوعنا واستسلامنا هو الكارثة.. ألا تفهمني يا شيخ عنبة؟؟ ماذا يحدث لو امتنع صاحب كل سلطة عن تلبية أوامر السلطان والانجليز؟ تصوروا لو أن عمد القرى والأعيان ومأموري المراكز، وكلا لمصريين في أنحاء السلطنة قاموا بعصيان شامل..عند ذاك يقف دولاب العمل، ويفيق الظلمة إلى رشدهم)[1].

ولكن الشيخ بادره بابتسامة في مرارة الألم والحزن، وذلك يعني انه يرفض الفكرة لأن العصيان الشامل حتما أن الانجليز لن يتركوهم بسلام وتكون التضحية غالية الثمن، وذلك بإحداث مجازر دامية لن تحمد عقباها، ويذهب دم الأبرياء هكذا دون ذنب لهم، فالتضحية عند الشيخ عنبة لابد أن تكون مدروسة جيدا ومخطط لها، ويتمثل ذلك بقوله:(فابتسم< الشيخ عنبة> في مرارة وقال: ــ عند ذلك تعم المذابح أنحاء القطر، ويغرقون الأبرياء في بحر من الدماء.

ليكن.. إذ لابد من التضحيات.

التضحية يجب أن تكون منظمة ومدروسة يا أحمد أفندي...)[2].

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 16ــ17.

[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 17.

والملاحظ أنه رغم الاضطهاد والظلم والتهميش الممارس عليهم، إلا أن الشعب المصري مازال يحاول البحث عن حلول ومخارج لهذه الأزمة السياسية المسلطة فيوعي الشعب بالحرية ونعمة الاستقلال أنها مازالت حية في نفوس المواطنين وخاصة النخب المثقفة أمثال احمد أفندي والشيخ عنبة وغيرهم...

ولم تكتف السلطات الاستعمارية بأخذ الرجال فقط إلى ميدان القتال بل زاد جحيم الحرب وزادت المظالم الاستعمارية، فأصبحت جحيما لا يطاق فكلهم أوامر جديدة وقوانين ردعية مؤلمة أكثر من ذي قبل، فنجد الاستعمار الغاشم أصدر قانون جديد وذلك عند زيارة الضابط الانجليزي إلى القرية وهو سعيد كل السعادة بإصداره تلك الأوامر المستبدة في حق شعب ضعيف عانى ويلات الاستعمار والاضطهاد تحت سموم الحرب وجحيمها، فأخرج ورقة مطوية من جيبه بعد التجمع السكاني الذي أرغمه على الاجتماع والاستماع، وبدأ يلقيها عليهم باللغة الانجليزية والمأمور بجانبه يستمع باهتمام ويترجم ما يقوله الضابط الظالم المتعجرف، والذي فهم من تلك الاوامر الجديدة هو زيادة عدد جديد من الرجال، للحاق بغيرهم وذلك للخوض في المعارك، والمتمثل في قوله: (فأخرج الضابط ورقة مطوية من جيبه، ثم نشرها وأخذ يرطن بكلمات إنجليزية والمأمور يستمع إليه في اهتمام، وفهم العمدة منها بعد لأي أن المطلوب هو حشد عدد جديد من المتطوعين لترحيلهم إلى مناطق القتال)[1].

ولفظة المتطوعين ليس إلا كلمة ازدراء وتهكم، لأن الشعب يعرف مدى كذبة هذه الكلمة لأن الذين سبقوا إلى اللحاق بميدان القتال عانوا مرارة الحياة، وويلات الشقاء والتعب والاستعباد وذلك بفرض السلطات الانجليزية والسياسة الاجبارية

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 24.

الاعمال الشاقة والمرهقة، كانوا يعاملونهم كعبيد واسرى بدون رحمة ولا شفقة وكان ترحيلهم اجباريا وترهيبا منهم ورغما عنهم.

وأما القانون الثاني الذي أصدره هو إعطاء الامر بالاستيلاء على كل أملاك الشعب سواء كان غنيا او فقيرا من وسائل وحيوانات منها الاغنام والمواشي والحمير... التي كانت مصدر رزق للعائلات الفقيرة في المجتمع الريفي، وأخذوا رجالهم الذين ربما لن يعودوا فالحرب كالمطاحن ترحي، ولم يكتفوا بهذا بل زاد العذاب والاضطهاد بسلب حياتهم ورقهم وأمنهم، وأصبح القوي يأكل الضعيف وهذا ما يريده الاستعمار الظالم المستبد، أن يجعل المجتمع تحت رحمته وأن يؤمنوا بفكرة التبعية الغربية ولا يوجد بلاد عربية إسلامية فالكل تابع للغرب:(ولم يكن هذا هو كل ما يريدون، فقد أخرج الضابط الانجليزي أمر بالاستيلاء على المزيد من الاغنام والحمير والمواشي وألا يترك منها إلا الهزيل أو المريض، لاحتياج القوات المحاربة إليها)[1].

وهذه السياسة تستعملها الدولة عادة لتجويع المجتمع وتفقيره وبث الخوف والرعب فيه وزعزعة استقرار البلاد وأمن شعبها، فالسلطات الاستعمارية تقوم بذلك لفرض الحصار والتضييق على الشعب وكل ما تفعله لمصالحها فقط.

وإضافة إلى ذلك موضوع الاستيلاء على كميات معينة من المواد الغذائية مثل القمح والذرة والشعير، وقاموا بتنظيمات جديدة بخصوص الزراعة، ونستشهد بقوله في الرواية:(تقليل المساحة المزروعة قطنا وزيادة المنزرع من الحبوب لما تتطلبه المعركة من مواد تموينية كثيرة)[2].

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 25.

[2] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 25.

ومن هذا المنطلق زاد الحصار السياسي على المجتمع وكثرت فيه صور الاقصاء والتهميش فصارت كل أملاك الدولة وأملاكها تحت سيطرة الاستعمار وصار هو الآمر الناهي.

والملاحظ ان السلطة الانجليزية لم تترك شيء إلا استعمرته وسيطرت عليه فأصبح المجتمع مسلوب حقه ومهمش، ويعاني من ويلات الحصار والاضطهاد السياسي والعسكري فهذا الاستعمار لم يترك نفس للشعب حاصره من كل الجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية...، سلب أمنه واستقراره وحياته وأملاكه ونهب أرضه وسرق منه الطمأنينة والامان، فرغم المحاولات التي قام بها بعض النخب المثقفة من عصيان شامل وإضرابات وعدم الاخذ بالأوامر إلا أنها بقيت حبرا على ورق لأن التضحية تكلف الكثير، فبهذه السياسة القمعية أصبح الواقع المصري في تلك الفترة جحيما لا يطاق فهذا هو التهميش بعينه، فإن أردت ان تحتل أمة سياسيا وافرض الاوامر وافعل ما تريد بها، فالحرية هي مطلب اساسي لكل أمة وشعب ويثبت ذلك الاحتلال الانجليزي على مصر، وفي واقعنا الجيش الاسرائيلي على فلسطين، فهذه أصبحت مهمشة في أسفل القاع بعدما كان دخول الانجليز إلى مصر بحجة حمايتها من غدر الترك والالمان فذلك الدخول كانت مجرد قناع ظاهره حماية مصر وفي باطنه نهب وسلب واستيلاء على البلاد وخيراتها، والاكثر من ذلك انهم كانوا يحمون فردا بطبيعة الحال كان خادما لمصالحه وأهدافه في مصر، والعجيب انهم يحمون فردا لا أمة وهذه هي الخدعة الكبيرة والقناع الذي عادة ما تستعمله الدول الاجنبية للدخول والتوغل والسيطرة على الشعوب الضعيفة ودول العالم الثالث، وهذا ما حدث في مصر: (فإذا بالانجليز

الذين أعلنوا بالأمس أنهم باقون في مصر مؤقتا حتى ترسخ أقدام الخديوي، يعودون ليعلنوا أنهم باقون لحماية مصر من غدر الترك والألمان)[1].

فالهدف الاساسي ليس حمايتها وإنما استعمارها والاستفادة من خيراتها وتدمير شعبها وهذا ما يطلق عليه الاستعمار المقنع.

3ــ البعد النفسي:

لقد اهتم الادباء بتصوير الحالة النفسية وذكر تفاصيلها واقعا أو تخييلا، في مختلف النصوص نثرا وشعرا، ويظهر ذلك على وجه الخصوص عند التركيز على الشخصيات وسماتها وانفعالاتها، ودوافعها وأفكارها، وصورها، وقيمها، ومن خلال هذا كله يرتبط مصطلح الهامش بعلم النفس، و: (يشمل هذا البعد الملامح والاحوال النفسية، والروحية، والرغبات، والآمال، والعزيمة، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها، ويتبع ذلك المزاج من انفعال وهدوء، ومن انطواء أو انبساط)[2].

إذن فالبعد النفسي يهتم بوصف الشخصيات وأحوالها الداخلية والخارجية منها، ونجد ان علم النفس يرى بأن للتهميش أضرارا مادية كما له أضرارا معنوية، وهذه الاخيرة هي ابرز أسباب ودوافع العقد النفسية لدى المهمش، لأن شعوره بالانفصال والاستبعاد والضياع يدخله في دوامة من الحيرة والاضطهاد وهذا ما يولد العنف والقمع لديه، ومشاعر الاحباط هي من تدفع بالمهمش للجنوح إلى العنف والعدوان كأسلوب للتعبير عن الذات لإحساسه بالإهمال والفراغ.

---

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 38ــ39.

[2] عبد الرحيم حمدان: بناء الشخصية الرئيسية في رواية" عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني، بحث مقدم للمؤتمر الخامس كلية الآداب: القدس تاريخا وثقافة الذي أقامته الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة: 07ــ2011/05/08مــ جمادى الآخر 1432هــ.

ويرى علم النفس أن المهمش ما هو إلا إنسان يعاني من مشاكل نفسية، أدخلته في حالات اضطرابية، ما يجعل منه إنسانا مكبوتا، وانطوائيا، وعصبيا، ومنزويا، وانكماشيا، ومكتئبا.

ونجد أن قارئ رواية" النداء الخالد" يلاحظ بأن الكاتب قد خص شخصية <أحمد شلبي> ــ طالب بمدرسة سخانة ــ ببعض الصفات النفسية من صراع داخلي وتناقضات وطموحات وحاجات نفسية، وقد جهد الكاتب أن يحلل شخصية أحمد ونفسيته، ويسبر أغوارها، ليصل إلى أهم الصفات والملامح النفسية التي تنبثق أفعاله منها، فوجد الكاتب عند هذه الشخصية عدة صفات منها: الانتقام فنجده يهدد بالانتقام ممن ألقوا القبض على أبيه فهاهو يقول: (وكان وحيدها أحمد ــ الطالب بمدرسة سخانه ــ يقف ذاهلا في ركن من أركان باحة البيت الواسعة، وقد تورمت عيناه، واحتقتا من شدة البكاء، لكن قبضتيه كانتا متكورتين وكأنه يهدد عدوا لا يظهر للعيان)[1].

في هذا الموقف نجد أن أحمد افندي في حالة نفسية يرثى لها بسبب القبض على أبيه، كان يشعر بالظلم وعيناه تشعان بالانتقام و التهديد للأعداء.

ونجده في موقف آخر يهدد بالانتقام بشكل مباشر ممن كان السبب في القبض على أبيه وهو الانتقام من العمدة "خلاف عبد المتجلي"حين شرد في ذكرى أبيه ذلك الرجل الطيب المسالم الذي كان يهدد العمدة تهديدا يمس بمنصبه كعمدة، فقد كان "عبد العزيز شلبي" محبوبا من قبل أهل القرية وكان ميسور الحال وهو منافسه الوحيد على منصبه كعمدة، فنجد أحمد:(همس دون وعي وقد آلمته الذكرى:

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 08.

ــ لسوف انتقم يوما من <خلاف عبد المتجلي>.. هذه الاداة القذرة)[1].

أحمد شلبي كان في حالة من القلق والانتقام، حيث كان يهدد بالانتقام من خلاف عبد المتجلي الذي كان السبب في القبض على والده والعديد من رجال القرية وأخذهم للعمل في أعمال السخرة وكان ينتاب أحمد شعور بالاضطراب والقلق النفسي والحيرة.

ولا نجد عند أحمد مشاعر الانتقام فقط بل نجد عنده كذلك مشاعر وملامح تحمل نبض الانسان ومشاعره وأشواقه وتطلعاته إلى الحرية والخلاص من المستعمر الغاشم وقسوته، وكان:(حزينا لأنه لم يكن واحدا من أولئك الرجال الذين أقدموا على موقفهم البطولي وهم يعلمون أنهم يعرضون أنفسهم بذلك لأخطار كثيرة أكيدة، لكنه كان يعزي نفسه بأن المعركة قائمة، وأنها لم تزل في بدايتها، وأن مصر كلها ستشتعل يوما ما بثورة وتحديا لأولئك الذين يعتدون على حق الحياة الشريف المقدس)[2].

فنجد أحمد في هذا الموقف يحلم بأن يكون أحد الرجالات الذين يشعلون نار الثورة في مصر ويخرجون المستعمر من بلادهم.

برغم كل هاته الاحداث والمشاعر التي يمر بها أحمد افندي إلا أنه لم يمنعه ذلك من الوقوع في الحب، فقد أحب تلك الفتاة العنيدة صابرين ابنة العمدة خلاف عبد المتجلي:(أما أحمد فقد شعر منذ البداية أن شيئا ما ينمو ويترعرع في قلبه، شيئا يتصل بهذه الفتاة العنيدة الجميلة، وعلى الرغم من نقمته على أبيها..

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 20.

[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 136.

واشمئزازه من مسلكه الشائن، فقد كان لا يستطيع ان يتنكر لتلك المشاعر النبيلة التي تشده إلى الفتاة شدا لا هوادة فيه)[1].

ومن هنا نجد بأنه رغم هامشية شخصية أحمد إلا أنه لا مانع للمهمش من أن يحيا كسائر البشر بفطرتهم وغريزتهم التي تجعلهم يتعارفون ويتحابون ويبنون حياتهم على الحب والسلام.

ونلاحظ أيضا من خلال هاته الرواية وجود شخصية أخرى لها انفعالاتها ومشاعرها ومكبوتاتها وتلعب دورا بارزا في هاته الاحداث وهي شخصية "الشيخ عنبة" وهو أحد أهم الرجال في قرية أحمد أفندي، وهذا الرجل يحترمه أغلب اهل القرية لما لديه من شعبية وعلم وهيبة ووقار، وهو رجل صاحب محل صغير للبقالة و:(كان يحفظ كلمات الشيخ جمال الدين الافغاني، ومقالاته عن ظهر قلب لطول ملازمته إياه أيام أن كان طالبا في الازهر)[2].

وكانت الثقافة الدينية الاسلامية هي التي تهيمن على أفكاره ومعتقداته، فهي جزء أساس في الصراع المحتدم بينهم وبين المحتلين الانجليز.

ولم يكن الشيخ عنبة بالرجل الجبان الذي يكظم غيظه ويداري حنقه، ويستسلم للأمر الواقع، بل نجده دائما شديد الحرص على توجيه سهام نقده إلى العمدة وأحزابه ويسعى جاهدا إلى تغيير تفكيرهم ونظرتهم إلى أهل قريتهم باحتقار وعنف وظلم شديد فنجده في احد المواقف حاول أن يتحدث مع العمدة بقسوة ليوجهه إلى طريق الخير فأتته تلك الفرصة حين استدعاه العمدة:(وأخيرا قرر العمدةــ استدعاء (الشيخ عنبة).. واختلى به وقال:

---

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 73.

[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 10.

ــ أنت تعرف يا شيخ عنبة.. من أنا.

ــ أعرف أنك خلاف عبد المتجلي رجل مثلنا.

ــ لكني عمدة البلد.

ــ المنصب تكليف لا تشريف.

فلم يفهم العمدة ماذا قصد، لهذا قال:

لا تكلمني بالنحو.. كن واضحا.

رفع إليه عنبة وجها صارما وهتف:

ــلست إلها يا حضرة العمدة.

ــيمكنني الايذاء والانتقام من أي معارض.

ــولم لا تكون مجلبة للنفع والخير؟.

لأنك ياعنبة تعترض سلطاني.)[1].

نجد الشيخ عنبة في هذا الموقف صارم مع أعدائه فهو لا يقبل الظلم أبدا ولا يسكت عنه فهو يحمل مشاعر الغضب والاحتقان للظالمين وللعدو الانجليزي، وكان يسعى للتخلص منه ومن كل يد تسانده في البلد.

فنجده في موقف آخر يتمتم ويقول حينما اقترب موعد النصر والحرية وتحقيق الاستقلال والنيل من العدو الانجليزي:(إن النداء الخالد لن يموت.. نداء الحرية أيها الرجال.. وكيف يموت وجيلنا الصاعد نراه بأعيننا يحمل الراية دون

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص45.

خوف.. لقد تحررت العقول من الاوهام أيها الرجال، ولهذا فأنا واثق من النصر.. إن أبناءنا الضعفاء يهتفون للحرية)[1].

إن الشيخ عنبة يستشرف غدا مشرقا للبلاد بفضل نهوض أبنائها الضعفاء للنضال والكفاح ضد الاحتلال..

4-البعد الديني:

أحاط الروائي نجيب الكيلاني في روايته " النداء الخالد " بمختلف الأبعاد الدينية والمعطيات الفكرية والثقافية، التي تبين وتوضح صورة المهمش المثقف وحياته، منها الفكر الديني الذي صوره في شخصياته وهدي الصفات التي يحملها من تعاملاته في الجانب الديني، فنعرج عليها من خلال تصويرها وذكر بعض النقاط المهمة التي توضح الجانب الديني ومدى التزامه به من خلال طبيعة تدين الشخصية المهمشة والمستوى الثقافي والديني الذي تحمله والصفات الدينية التي تتصف بها في روايته هذه:

1-ثقافة المهمش ومعرفته:

نجد "نجيب الكيلاني" وظف نماذج عدة من الشخصيات على قدر من الثقافة والعلم والمعرفة حيث كانت هذه الشخصيات تستشهد في كلامه من القرآن والحديث النبوي الشريف واقوال الصحابة التابعين وأهل العلم والفلسفة شعرا ونثرا، وكان الغرض من توظيف هذه الشخصيات هو الدفاع عن دينه والتمسك به، والحث عليه ونشره بين المجتمع مخافة منه من الاندثار واندماج المجتمع في الديانات الاخرى في ظل الاستعمار المحتل، فهم يعرفون جيدا ان الاستعمار الظالم من أهدافه هو القضاء على الدين الاسلامي ومحو الشريعة الإسلامية من على

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 162.

وجه الأرض، ومن هنا نجد **شخصية الشيخ عنبة** هذا الرجل لديه قدر كبير من العلم و المعرفة وحب الإطلاع على كتب السلف من مقالات وكتب كثيرة، تشرب منها الأدب والعلم وكل العلوم، فأصبح لديه زاد معرفي وثقافي كبير مثابة السلاح القوي الذي يلازمه دائما، فكان طول حياته ملازما للشيخ "**جمال الدين الأفغاني** " الذي يمتلك ذخرا كبيرا من الثقافة والعلم القيم والنافع في الحياة، فالعمدة كان طالبا ملازما مصاحبا له أيام دراسته في الأزهر، فكانت كل أفكاره وتطوراته وتطلعاته والمعرفة الكبيرة التي يحملها من مقالات "**جمال الدين الأفغاني**" فكان العمدة في كل موقع أو ظرف يحل به يذكره ويردد كلماته التي كان يحفظها عن ظهر قلب والتي كانت راسخة في ذهنه عالقة في قلبه، فكان يلقبه " بحبيبي " ونجده عندما رأى أحمد في خالة حزينة والتي من خلالها تغير لون وجهه وبدا عليه الشحوب و تمتم ببعض الكلمات التي كان قد حفظها من عند حبيبه جمال الدين الأفغاني، فكان بمثابة استشهاد لكي يواسي أحمد الحزين، في قوله: [كان "الشيخ عنبه" لا يترك مناسبة تمر دون أن يعلق عليها، ولم يكن التعليق من بنات أفكاره، فقط كانت كلمات "**جمال الدين الأفغاني** " ومقالاته التي كان يحفظها عن ظهر قلب لطول ملازمته اياه أيام كان طالبا في الأزهر وكان يطلق على الأفغاني كلمة " حبيبي " فما أن سمع ما قاله " أحمد " حتى شحب وجهه وارتعشت شفته وتمتم:

يقول حبيبي :إن الأزمة تلد الهمة)[1].

إذن فشخصية الشيخ عنبة شخصية مثقفة تحمل قدر كبير من الثقافة والعلم وذلك من خلال الإطلاع على مقالات الشيخ جمال الدين الأفغاني أيام كان طالبا في الأزهر وتزود من معرفته حق المعرفة وكل أفكاره من تلك المقالات، إلا أن هذه الشخصية المثقفة تبقى صورة من صور التهميش سببه الواقع الذي تعيشه

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 10.

والمفروض عليها حتما فهي تعاني ويلات الحرب والدمار والإقصاء لا أحد يسمع صوتها ويكترث لها، إلا أنا نجدها تحارب او تناضل في صمت.

وفي موقع آخر نجد شخصية عبد العزيز شلبي فهذا الرجل من أولياء الله الصالحين، المعروف في القرية بصلاحه ونبله وصفاته الحميدة من خلال تعامله مع الناس فهو يقصده المهموم والفقير والمريض والضعيف والقوي، معروف بذكائه وطيبته وحبه وإخلاصه، فهو يستقبل كل الفئات من دون تمييز يسمع لهم ويعالج همومهم ومشاكلهم، و أحوالهم فهو الرجل المعروف بالصلاح والفلاح، فمكانته عالية بينهم، حيث تصاحبه دعواتهم الطاهرة حيث كان وهذا من الصفات والمبادئ الأخلاقية والدينية التي يتحلى بها من الحب والحنان والتعاون والخير... الخ في قوله الكاتب:(ويحظى برصيد هائل من حب الناس وتقديرهم له.. و"عبد العزيز" و إن لم يكن العمدة إلا أنه الرجل الأول في التجربة بدون منازع، له من صلاحه وبره ونبله ما جعله مسموع الكلمة، نافذ الرأي، تلاحقه الدعوات الطاهرة أينما سار ويستجيب الناس لدعوته في أي وقت)[1].

فنجد شخصية عبد العزيز شلبي شخصية دينية تتحلى بالمبادئ الأخلاقية الإسلامية،فهذا الرجل عرف بصلاحه وسيرته الحسنة الطيبة بين مجتمعه فهو يتحل بصفات الشهامة والرجولة والشرف والخير فهو ملتزم بصفات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك يحظى بالكثير من الاحترام والتقدير وحب الناس، بحيث دعواتهم تلحقه حيث ذهب وكلمته لها الكثير من الشأن والتقدير والسماع، وهذه صورة أخرى من صور التهميش الديني في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني.

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 10.

وفي تصوير آخر لشخصية جديدة لها دور فعال في رسم أحداث الرواية وواقائعها بحيث نجد لها تاثيرا كبيرا على شحوبه وهي شخصية الشيخ "عنبه " فكان الإمام الخطيب في المسجد فهذه الشخصية معروفة باتساع ثقافتها والتمسك بدينها فهي الشخصية الواعظة والمرشدة على الناس في أغلب خطبه على حب الحرية، الجهاد في سبيل الله، الدعوة إلى الحق، تحقيق العدالة والحث على التعاون وحب الناس ومواجهة العدو والحفاظ على الدين فكانت خطبه موسومة بهذه المبادئ والصفات الإسلامية،فكان يستشهد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فكان دائما ينتقد العمدة وأحزابه وتوجيه الكلام لهم، بما يفعلون ضد مجتمعهم لصالح الاستعمار الإنجليزي وتنفيذ أوامره ونجده استشهد قول من أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في قوله وهو يحثهم على الجهاد ومحاربة العدو وعن صفات المؤمن الحق وغيرها من المبادئ الإسلامية التي يجب على كل فرد أن يتحلى بها في قوله (:بل كان يحرص دائما على توجيه سهام نقده إلى عمدة وأحزابه من الموسرين.. ولا يعتلي منبر المسجد إلا ويحدث الفلاحين، عن الإنسان الحر، وعن قول عمر رضي الله عنه ": متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" ويحدثهم عن صفات المؤمن الحق وعن وجوب المساواة والعدالة والمحبة وسيطرتها على علاقات البشر)[1].

فهو كان يبث فيهم الوعي والإرشاد وضرورة الجهاد والقيام بالثورة لتحرير مصر من عدوها الظالم، فكانت كلماته مثل السهام الموجهة للاستعمار الانجليزي فهو يدعو إلى مبادئ إسلامية مشروعة وبيان أهميتها في العقيدة الإسلامية، فكان هذا الإمام الخطيب كبيرا على المستعمر، فأفكاره وتصوراته ومبادئه كانت كالسلاح الذي يقطع به الرقاب فهو يشكل بذلك نقطة ضعف على المستعمر وعلى الخونة

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص40-41.

التابعين لهم من المصرين فكان متشبع بالثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي الصحيح وذالك من خلال الاستشهادات من القرآن الكريم وأقوال الصحابة والتابعين والسنة النبوية.

ومن هنا نرى أن طبيعة شخصية الشيخ عنبه الفقيه دينية إسلامية فالدور الذي كان يفعله من خلال خطاباته في المسجد فهو بذلك يمتلك مقومات دينية تحمل الصفات والأخلاق الإنسانية والإسلامية الفاضلة والنبيلة.

وفي حوار آخر مع العمدة الذي لا يرضى بالنصيحة ولا يقبلها، ولا يعترف بهزيمته ولا يرجع إلى الحق فهو أناني في طباعه، فهو يرى نفسه على صواب، ولم يكتف بذلك فقط فهو يقوم بإزعاج الشيخ "عنبه" إمام وخطيب القرية وقهره حين يقول له أنه كانت لديه القدرة لإرساله إلى صحراء "سيناء" مع الجثث والعمال، وذلك لتتسنى له الحرية في ارتكاب الأفعال السيئة للمجتمع فهو يريد القضاء عليه بشتى الطرق، فهو يراه خطرا عليه وعلى الاستعمار الذي يعمل لصالحه، لكن الشيخ "عنبه" لم يسكت عنه، فاستشهد بآيات قرآنية تحث على القدر والأجل المحتوم الذي يحل في كل مكان ولو حتى في القصور الفخمة والمشيدة بقول:(كان في إمكاني أن أقذف بك مع جيش العمال الذاهب إلى صحراء سيناء.. وعندئذ لا تعود إلى هنا مطلقا.

فتربع الشيخ "عنبه" وترنم بصوت جريح :

بسم الله الرحمان الرحيم.. **{** أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة **}** ..صدق الله العظيم.

صاح العمدة:

ــ كفى

وقال عنبه:

"ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب)[1].

فكان يعينه على قيم الدين الإسلامي وهي الإيمان بالقضاء والقدر وإن الله إن أراد شيئا أراده للإنسان سواء خيرا أم شرا وأن الله إرادته فوق كل شيء، ودعوة المظلوم مستجابة ليس بينها وبين الله أي شيء.

فالإيمان القوي والصبر والاحتساب لهذه الشخصية لن تترك لأي شيء أن ينال منها فهي معروفة بإيمانها القوي ورضائها بالقدر الذي كتب عليها.

وفي اجتماع آخر للشيخ "عنبه" ورفقائه الصالحين في المسجد، استفتح جلسته بحديثه فيها عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه التابعين وعن المعارك التي خاضوها في فجر الدعوة الإسلامية ونشر النور الإسلام في كل مكان والجهاد الأكبر وجهاد النفس، والمعاناة التي عانوها أثناء الفتوحات من نفي وظلم وإبعاد وتشريد وتضيق ومع ذلك لم يستسلموا فخاضوا المعارك بالجهاد والثقة في النفس والصبر، فكان الشيخ "عنبه" يبث بنور كلامه في نفوس مستمعيه ويستروا بذلك أنفسهم، حتى يكافحوا ويصبروا ويسيروا على خطى الصحابة والأنبياء بالجهاد والصبر والتضحيات يتحقق النصر، وذلك بالاعتداء والتحلي بصفات نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار وأثناء حديثه الطيب استشهد بآية كريمة من القرآن الكريم، التي تنور عقولهم وتزكي النفوس وتزيد حماسة وشجاعة في الجهاد وتبعث فيهم الراحة والطمأنينة في قوله:(وجلس الشيخ "عنبه" يحدثهم عن الجهاد الأكبر –جهاد النفس – ويكلمهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبان محنته في فجر الدعوة الإسلامية، وما لاقاه هو وأصحابه من نفي

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص45.

وتشريد واضطهاد ويستشهد بالآية الكريمة {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون }. ولم ينس في هذا الموقف الهام أن يتذكر حبيبه "جمال الدين الأفغاني".. فاختتم كلامه قائلا: يقول حبيبي بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة)[1].

ولم يتسن في هذا الموضوع الهام جدا الذي كان يلقيه أفكار طيبة ومفيدة إلا وأن يتذكر حبيبه "جمال الدين الأفغاني " ليزيد من وعي الشباب وتحليهم بالثقافة الاسلامية وغرس المبادئ والأخلاق الإسلامية، فكان ختامها مسك بذكر عبارات ومقولة جميلة اختتم فيها كلامه المفيد والعظيم في أهدافه وإلقاء دروسه المحمدية والدينية فجعل من عبارات جمال الدين الأفغاني خاتمة واعظة ومرشدة تزيد من الوعي والصبر والجهاد في سبيل الله عز وجل.

وهذه الاستشهادات لدعم رأيه ومذهبه وهي أقرب للثقافة العامة والمجتمع بمختلف شرائحها منها الثقافة الدينية فتلك المبادئ والأخلاق الإسلامية يستعملها كوسيلة للإقناع والذي ذكرناه آنفا يوحي إلى أن الشخصية الدينية تتخذ لها من الاستشهادات من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين كحجج لإثبات حججها والتأثير على سامعيه بالتحلي بتلك الصفات والأفكار التي يحدثون بها الفئة التي تكون تسمع فنجد أن البعد الديني كان أكثر محظوظ في تصوير نجيب الكيلاني لشخصياته الدينية المهمشة ومدى تأثيرها على أحداث ووقائع روايته "النداء الخالد " فالبعد الديني له دور مهم وفعال في تزويد وقائع الرواية وتجسيد صورها المختلفة عبر الشخصيات المهمشة والمقصية من طرف الإستعمار الإنجليزي فنجد الشخصيات الدينية تناضل وتكافح بثقافتها وعلمها وأفكارها لكي تصل إلى الحرية التي يريدها أي شخص متشبع بثقافته الإسلامية

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص56.

وغيور عليها لا يرضى الذل ولا الهوان ولا السيطرة و الاستغلال الاستعماري، فالشخصيات تحاول جاهدة تغير واقعها المحتوم من خلال نشر ثقافتها ودينها وأفكارها، فهي تريد أن تخرج من صمتها لأنها عانت ويلات الاستعمار والظلم وتعرف مدى أهمية حريتها و استقلالها،فالشخصيات الدينية وأبعادها الدينية والأخلاقية الإسلامية كان لها دور كبير في تغير الواقع وحث الناس عن الحرية والجهاد ونعمة الاستقلال التي يجب أن يأخذوها من أيدي الاستعمار وإن كانت أرواحهم ثمنها وهذه هي حقيقة الدين الإسلامي، ودفاعه عن مبادئه وشرائعه أمام المحتل المستعمر والظالم، وهذه هي صورة من صور الهامش الديني وهذه الرواية محكومة بفكر إسلامي بحت.

5ــ البعد الاجتماعي الاخلاقي:

يعتبر البعد الاجتماعي الاخلاقي من أهم الابعاد الموضوعية التي قامت بتصوير المهمش ونقل صور واقعه المعيش في الرواية، ولأن الرواية وليدة المجتمع منذ نشأتها فهي تحمل أحداثه وواقعه وحالاته كاملة من معاناة وآلام وحروب وأحزان وأفراح فهي تصور الواقع وتنقله بحذافيره، فالكاتب الاجتماعي والواقعي يعبر عن مجتمعه وهو المرآة العاكسة له فهو يعالج القضايا الاجتماعية ويصفها بما تحمله من موضوعات، فالبعد الاجتماعي الاخلاقي سبيل ووسيلة لتصوير حالة شعوبهم ومعاناتهم وآلامهم بكل صدق وموضوعية، ومنه فنجد البعد الاجتماعي يتعلق بالبيئة والظروف الاجتماعية ونمط االمعيشة و أساليب الحياة التي يحياها المهمشون، ومن هنا نجد أن الرواية قد تطرقت لعدة قضايا وموضوعات صنفت ضمن الهامش الاجتماعي والتي كان سببها الاستعمار الظالم المستبد، فهي تسرد أحداثا وقعت عام 1919، فذكر الاحداث التي وقعت في تلك الفترات، وكما هو متعارف في قرى مصر أن العادات والتقاليد شيء مقدس

واعتراض شخص لهاته العادات يؤدي به إلى الموت، وهذا ما حل بأحمد وصابرين الشابين الذين أحبا بعضهما حبا عفيفا، لكن بحكم العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع المصري وخاصة القرى فلم يستطيعا التصريح بحبهما لبعض لأنه لا وجود لحب في وسط مجتمع تفرض العادات والتقاليد قوانينها فيه، وأن البنت ليس لديها أي قرارات بعد سلطة وقرارات عائلتها فتزويج البنت عند أهل القرية المصرية يكون وفق تلك العادات والتقاليد، وهذا ما حدث مع صابرين التي أحبت شخص وهو الشاب أحمد لكن والدها رفض ذلك وقام بخطبتها لابن خالها الذي لا تحبه ابدا، فاعتراض هذه العادات والتقاليد لحبهما هو بمثابة القضاء على حياتها، لأن كلمة أهلها مثل الرصاصة اذا خرجت فهي لن تعود، والذي نلمسه في قول الكاتب في الحوار الذي جرى بين الاب وابنته صابرين بخصوص زواجها من ابن خالها وان الامور ستتم بسرعة على قول الاب لابنته، لكنه صدم بردة فعلها ورفضها للامر وذلك من خلال القول:(لكن ثقي أن الامر سيتم بسرعة، وعلى صورة ترضيك وترضيه هو الاخر.

قالت بعد أن زمت شفتيها:

ــ ما قصدت ذلك ياأبي.

ــ ماذا إذن؟.

و ألقت بكلماتها كالقنبلة:

ــ أنا لا أريد أن اتزوجه.

وانتفض أبوها جالسا.. وقال وهو يرمقها بنظرات حائرة:

ــ لعلك تمزحين.

ــ أنا أعي ما أقول.. لا أريد أن أتزوجه.

ــ أنت؟ من أنت؟ هل جننت يا صابرين؟ هذه أول حادثة من نوعها في أسرتنا.)[1].

وكأن رفض صابرين للزواج جريمة كبيرة ارتكبتها، فالصدمة كبيرة على والدها بسماعه لهذا الخبر، فالأب لديه عادات وتقاليد يمشي عليها وهذه من أصول أسرته وعشيرته وهو يعي مدى الخطورة الكبيرة التي ستحل به و بابنته من جراء هذا الرفض، فكأنها حكمت على نفسها بالموت بهذا الحب العفيف الذي سكن فؤادها، فالعادات والتقاليد شيء مقدس لدى قرى مصر ومجتمعها المحافظ، فصابرين هي من الفتيات المقصيات والمهمشات تحت ظل هذه العادات والتقاليد الغير عادلة فسلطة البنت وحريتها في اختيار مصيرها وحياتها بمثابة الحكم عليها بالموت.

إن الحصار الذي فرضه الاستعمار على جميع الاصعدة في ظل الحرب، منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، نجده قضى على الاخضر واليابس ولم يترك لشعبها أية سبيل للعيش بسلام، فحول واقعهم إلى عذاب هالك وألم متواصل، ذلك الواقع المليء بالخيرات والبركات صار حلما يعجز تحقيقه، فصار الفقر والإقصاء والحرمان صديقهم الذي يستأنس به في الظلمات الحالكات، فالسلطة الاستعمارية لم تترك طريقا للعيش بسلام فكل يوم حادثة جديدة ومن شدة ألمها ينسون الفائتة، وهذا حال كل وطن تحت وطأة المستعمر الظالم الغاشم والمستبد فهي بذلك استخدمت كل الوسائل لإبادتهم وتدميرهم وهم أحياء، فسياسة التضييق وفرض الحصار والقوانين الردعية أدت إلى تشريد العائلات وإفلاس الاغنياء والتجار وفقدان ثرواتهم وتحول المجتمع من غني يتنم إلى فقير يتسول في الطرقات لعله يظفر بلقمة يسد بها رمق جوعه،

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 184ــ 185.

وطبعا هذا ما يرمي إليه الاستعمار فنجده طبق احتكار الاسواق وتصدير السلع وارتفعت اسعار البضائع والحاجات الضرورية منها ارتفاع اسعار اللحوم، والذي به قل دخل الفلاح والكثير فقد ثروته وأفلس وضاعت أمواله وهذا ما نجده في قول الكاتب:(وارتفعت أسعار اللحوم لشدة حاجة القوات المحاربة إليها.. وتحول موسم الخير والبركات إلى حرمان وفقر وضياع.. كما أفلس عدد ضخم من تجار القطن.. وفقدوا كل ثرواتهم) [1].

فبهذا الحصار والتضييق واحتكار السلع وغلاء المعيشة أدى بالمجتمع المصر إلى انتشار الفقر والحرمان والاقصاء فيه بسبب السياسات والقوانين والحجج الباطلة والهدف منها الاستعمار والاستيلاء على خيرات البلاد وإبادة شعبها بالقتل والتشريد والحرمان والاقصاء وهذه كلها صور للمهمشين.

فالأوضاع المزرية والظروف الصعبة التي يعاني منها أهل القرية في ظل الحرب، والواقع المر نجده أثر سلبا على حياة أفراد المجتمع الواحد، وذلك من خلال الانتشار الرهيب للجرائم والقتل والانتقام والظلم والقسوة على نفوس المجتمع المصري، حقا أن القلق يولد الانفجار، فالاستعمار الانجليزي بظلمه وجوره وقسوته، فعل فعلته وزرع الفتنة والخلافات والكراهية بين أفرادها، حتى الاهالي لم يصدقوا ذلك، ما حدث وحل بهم من جراء سماع الحوادث والكوارث التي يعج اللسان عن التعبير عنها وإن رأوها بأعينهم، والصادم في ذلك أن اللذين يرتكبون الجرائم وينتقمون من بعضهم البعض هم أنس ذووا الكلمة المسموعة والاحترام الكبير الذي يحضون به من المجتمع، فسماع **أبا المعاطي** هذا الرجل المعروف بوجاهته ونصحه وفكه للنزاعات، هاهو اليوم يكاد أن يقضي على **الخواجة يني** هذا الرجل المعروف بخدمته للاستعمار الانجليزي والحقير

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 58.

والاستغلالي والقاسي والقاتل المحترف بائع الوطن في نظر أهل القرية بأرخس الأثمان، فأراد أن يقضي عليه ويخلط دمه بتراب الأرض ويمحو وجوده من على وجهها، كأنه من شدة انتقامه وغضبه عليه سيخلص مجتمعه من رذيلة طالما سببها وعانى الكثير من ويلات ظلمه والسرقة بغير حق، وهذا ما نجده في قوله:(كيف يصدق الناس أن أبا المعاطي بلحمه ودمه كان يرتكب جريمة قتل؟ كان يريد أن يقضي على الخواجة يني ويمزج دمه بتراب الأرض)[1].

وطبعا هذا الانتقام نتيجة الحرب الطاحنة وظلمات المستعمر، فشتت وحدتهم وزرع فيهم الحقد والكراهية، هاهم يقتلون بعضهم البعض ومصرين على ذلك كأن الوازع الديني والإيمان مات في النفوس فأصبحوا بذلك كالوحوش في الغابة يفترسون فرائسهم من دون رحمة ولا ضمير، فالقوي يأكل الضعيف، وهذا الظلم والشعور بالانتقام وتفريق المجتمع الواحد كان نتيجة أهداف مسطرة ومسلطة عليهم والسياسة القمعية لم يسلم منها أحد أكيد.

ومن هنا نجد أن الكاتب يعرج على نقطة أساسية وهي أن مسألة الحرب وعذابها لها نتائج سلبية وخيمة، ماديا ومعنويا، فهي بذلك تولد شعبا مهزوما ضعيف فكريا ومعنويا وفقير متسول ماديا، فضعف الوازع الديني والانتقام وارتكاب الجرائم وانتشار الانحلال الخلقي والفقر والحرمان، والأمراض النفسية المستعصية، كل هذا ناتج عن تهميش السلطة المركزية الاستعمارية للشعب وإقصائه تماما من الواقع المعيش وتطبيق السياسات القمعية الظالمة والمستبدة حتما يكون لها تأثيرا كبيرا على الفرد ذاته والمجتمع والوطن وهذا ما صوره الكاتب والروائي نجيب الكيلاني في عمله هذا.

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 76.

أخيرا زال الخوف وخرجت الفئات الاجتماعية المهمشة من صمتها مطالبة بالحرية والاستقلال واستعادة الأرض الحبيبة فكل الشعارات والمفاوضات والمظاهرات في الشوارع وفي القرى والأرياف والمدن تندد بالحرية والنصر، لكن الاستعمار الظالم رفض ذلك، فالمظاهرات السلمية للمطالبة بحقهم المفروض رفضت بل زادت إراقة الدماء وكثر الظلم والمآسي فأصبحت الناس كالحشرات وإبادة يقومون بها في ثوان معدودة تسقط العشرات بل الآلاف من الضحايا، لكن رغم الحرب إلا أن الشعب بمختلف فئاته زاد من القوة والشجاعة ولم يستسلم أبدا، بل وقف صامدا في وجه المحتل، وذلك بإقامة ثورة وطوفان عارم واشتعلت نيران الثورة به، فالواقع لم يعد يحتمل وويلات الحصار والعذاب والإقصاء إلى متى الصمت وإلى متى الخوف فلهيب الثورة لابد أن يشتعل وينفجر نوره الذي طالما كان منتظر ولابد للطوفان أن ينطلق يقول الكاتب في وصف الثورة ومجريات أحداثها الدامية: (الطوفان ينطلق، لأن فيه طاقة ذاتية تحركه.. الطوفان ينطلق.. والرايات المصبوغة بالدم تخفق.. والأرض الخضراء تشتعل بنيران الحنق والتمرد على الطغيان.. والامة تعيش بلا وزارة.. لا يجرؤ واحد من الباشاوات أن يتسلم مقاليد الحكم إبان ثورة الطوفان الصاخب.. ومن يحاول طعن النضال المقدس تلاحقه الاعتداءات، ويكمن له الموت في كل مكان.)[1].

فالكاتب صور لنا أحسن الصور في الموقف المذهل الذي حدث في انفجار الطوفان والتمرد على الطغيان وعصيان أوامر السلطة والحكم، فأرض الوطن الخضراء تشتعل ودماء الضحايا تسقط شهداء أبرار، من أجل هدف واحد وهو الحرية والاستقلال لا وجود لمحتل مغتصب أرضنا فالقضية واحدة والمصير واحد، فالصمت وإن طال فلابد أن ينفجر ولابد لنيران الثورة أن تشتعل وتحقق

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 209.

النصر، فالوطن ينادي من أجل استرجاع السيادة والريادة والكل يضحي من أجل الوطن الأم، فالشعب إن أراد الحياة تغلب على العدو وانتصر بالوحدة والتعاون والكفاح والتضحية ولابد أن يأتي النصر، ومن يحاول الاعتداء والتمرد والخيانة فالموت جزاؤه تلاحقه حيث كان والطوفان في وجه المظالم مشتعل فلا وجود لسلطة أو مركزية أو وزارة، فالشعب سيد العرش وهذا ما فعله المجتمع المصري من أجل تحقيق سيادته واسترجاع وطنه وحريته من المستعمر المستبد.

ومنه نستنتج أن الفئات المهمشة وإن صمتت على حقها وإن طال الزمن بها ولاقت صعوبة في مواجهة أزمتها في حتما ستثور ذات يوم مفجرة البركان الذي بداخلها، لتغيير الواقع والأوضاع الصعبة التي تعيشها تحت جحيم الحرب فبصبرها وجهادها وكفاحها ووقوفها بصف واحد متلاحم الاجزاء في وجه المسلط والمستعمر عليها، وهذا ما رأيناه في روايتنا، فالنداء الخالد لن يموت والمعاني الانسانية لن تندثر ولن تموت فهي حية وواقفة في وجه العدو وحتما النصر والحرية والاستقلال سيتحقق وإن طالت الأزمة.

أما من ناحية البعد الاخلاقي فنجده يتعلق بالقيم الانسانية عموما، ومنه تعد الاخلاق من أهم القيم والمبادئ الفاضلة التي من الضروري الالتزام والتحلي بها لما لها أثر حسن وكبير على النفس في ذاتها وعلى البشرية جميعا، وبذلك نجد رغم المعاناة والألم والحزن والعذاب والإقصاء الاستعماري للمجتمع المصري وفرض السياسات القمعية الظالمة والمستبدة عليه، إلا أنه بقي متمسكا ومتشبثا بأخلاقه وقيمه، ومبادئه الاسلامية والانسانية عموما، فعذاب الحرب وويلات الاستعمار لم تغير لا من طباعهم ولا من أفعالهم ولا صفاتهم أبدا، وبذلك نجد الروائي نجيب الكيلاني في روايته" النداء الخالد" قد جسد لنا هذه القيم والاخلاق وهذا ما نلمسه في مجريات أحداث الرواية ووقائعها من خلال وصف الشخصيات

التي تمارس تلك الاحداث والادوار، أما عن المذهب الخلقي للكاتب فهو الديانة الاسلامية، والاخلاق نابعة من المبادئ الاسلامية ففكر نجيب الكيلاني فكر إسلامي بحت لذلك أخذ الاخلاق والمبادئ التي شرعها الدين الاسلامي ووظفها في روايته، فهي محكومة بفكر ديني وأخلاقي إسلامي، فمعظم شخصياته تتحلى بصفات دينية وعليه نتذكر بعض الشخصيات التي حملت الاخلاق والمبادئ والقيم الاسلامية الانسانية الحميدة منها التسامح الديني والصبر والمحبة الصادقة والحب والاخلاص الذي كان منتشر بين أهالي مصر في فترة الاستعمار الانجليزي والذي تناولته أحداث الرواية، فنجد شخصية < عبد العزيز شلبي> التي وصفها الكاتب على أنها شخصية محبة ومحبتها صادقة فمن أخلاقه الحب والصدق والتسامح الديني وذلك يتجلى في الحادثة التي وقعت بينه وبين العمدة هذا الرجل الذي فعل الكثير لإيذائه والانتقام منه بأبشع الطرق فأراد أن يرسله إلى الصحراء مع الجيش والعمال لخدمة الاستعمار الانجليزي للاستعداد للحرب، لكن أخلاق عبد العزيز شلبي أخلاق طيبة وحسنة فهو لا يحمل غلا لأحد ولا يحقد على أي بشر، وتبين ذلك من خلال طلب العمدة العفو منه على الظلم الذي ارتكبه في حقه فاستقبله بكل رحب وسعة دون انفعال أو رفض أو عنف أو انتقام فهو رجل مسالم محب للخير فمن صفاته الصدق والمحبة والتسامح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتجلى ذلك في قوله:(وانبرى <الشيخ عبد العزيز شلبي> قائلا:

أنا لا أحمل في قلبي غلا لأحد، وما حدث لي فهو بإرادة الله.. وليس من المكتوب علينا هروب.. وإيماني بالله لا يتزعزع، ومادام الامر كذلك.. فها أناذا أمد يدي لحضرة العمدة مصافحا في إخلاص وحب.. معاهدا إياه على الإخلاص والصفح..)[1].

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 55.

فعبد العزيز شلبي بحبه وإخلاصه وصدقه في محبته للناس قبل صفحه وعفوه من طرف العمدة فأخبره بأن كل شيء من عند الله وإرادته وإيمانه بالقضاء والقدر وهذه قيم الإسلام والمسلمين التي شرعها الدين الإسلامي على عباده وعلى الإنسانية جميعا، وهذا ما ميز شخصية عبد العزيز شلبي وهو اتصافه وتحليه بهذه الأخلاق والمبادئ الإسلامية التي من خلالها يعم الحب والوفاء والإخلاص والتسامح بين الناس فهو لا يحمل حقدا ولا كرها لأحد سواء ظلم أو لم يظلم.

وفي موضع آخر حدث بعد مصافحة عبد العزيز شلبي للعمدة الذي ظلمه وأخذ حقه بالباطل، فرغم ذلك الظلم إلا أن عبد العزيز شلبي لم يرفض طلبه في الصفح عنه ومسامحته، فهذا التسامح أسرى النفوس وأثلج القلوب ونشر السعادة رغم الالم والحزن والظلم الذي يمزق القلوب ويذهب العقول إلى الجنون من ظلم المستعمر وبطشه وجحيم الحرب المر، فبهذا الموقف السعيد بادرت أيادي الاهالي للصفح على العمدة تلك الايادي التي وصفها الكاتب بالأيادي العجفاء التي عانت ويلات العذاب والقسوة الاستعمارية، فقد تحملت الكثير من الفاجعات والمصائب والأعمال القاسية الصعبة ومرارة الحياة ومع ذلك فإنها صابرة لما أراده الله عز وجل فهي رمز للصبر والجلد والسلام ونجد ذلك في قوله:(وتبعته عشرات الأيدي مصافحة العمدة.. الأيدي الخشنة العجفاء التي لا تعرف سوى الصبر والجلد والسلام. كانت النفوس طافحة بالألم.. لكن ما حدث من حضرة العمدة قد لامس القلوب المكلومة وكأنه نسمة رقيقة رطبة)[1].

فهذا الحدث الذي وقع بين العمدة وعبد العزيز شلبي كان له تأثير كبير في نفوس الأهالي، فبرغم الألم والحزن الذي يمتلكهم في ظل الاستعمار وظلمه إلا أن تلك

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 55.

اللحظات أسعدتهم وبثت فيهم الفرح وشعاع من الأمل فكأن الشمل اجتمع من جديد والسلام عم وانتهت الحرب.

فعندما تعم القيم والأخلاق الفاضلة يكون النور والسلام والحب منتشرا في كل البقاع، فالسعادة تبنى أساسا على هاته القيم الاسلامية التي تؤدي إلى بر الأمان فهي تمحو كل النزاعات والمشاكل التي تفرق بين الأمم والشعوب، كما يقال الصلح خير لكل أمة أرادت السلام والأمان والحب بين أفراد مجتمعها وهذا ما حدث مع الاسرتين التي ذكرهما الكاتب أسرة العمدة وأسرة عبد العزيز شلبي اللتان تنازعتا لأسباب تافهة وغير واضحة لذلك ساد الكره والحقد بين العائلتين وهاهي اليوم تتصافح الأيدي وتتسامح القلوب وينتشر الحب والخير والسعادة فكانت بداية لعالم جديد خالي من الاحقاد والنزاعات، ونجد هذا في قول الكاتب: (وحينما تم الصلح بين الاسرتين على يد الشيخ عنبة ارتاح الجميع، واعتبروا ذلك بداية عهد جديد للحب والتصافي، والتفرغ لما هو أهم من شؤون الحياة ومشاكلها التي لا تنتهي..)[1].

فبعد هذا الصلح الذي حدث بين الاسرتين المتخاصمتين زال الظلام وحل النور والسلام وانتشر الحب والتصافي بينهم، فالشيخ عنبة كان له الفضل الكبير في تقديم النصيحة وإحداث الصلح فهو شخصية معروفة بثقافتها ودينها وحكمتها في فك النزاعات ونشر التسامح الذي هو من الأخلاق والقيم الانسانية الفاضلة وصفة من صفات المهمشين عادة.

أما عن القيمة الاخلاقية الاخرى وهي سمة من سمات الاقوياء والمناضلين والمكافحين في دروب الحياة الصعبة ومشاكلها التي لا تنتهي، ومن هنا نتحدث

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 69.

عن شخصية يمكن أن نسميها الشخصية المثالية لما لها من كفاح وايمان وصبر وقيم فاضلة، الشيخ عنبة هو مثال وقدوة في الصبر والكفاح فالمتتبع لمجريات أحداث الرواية يجد أنه عانى من مرارة القسوة والالم والظلم الذي تلقاه من مجتمعه والاستعمار الانجليزي فهو بطل مكافح ومجاهد، يقول الكاتب: (ومع ذلك فقد كان فيها الشيخ عنبة المؤمن المكافح الصابر)[1].

فرغم المآسي الدامية والحرب الطاحنة والخلافات والنزاعات المعقدة بين أفراد المجتمع والاستعمار، وفي ظل الحرب نجد الشيخ عنبة يكافح حق الكفاح وصابر على كل المصائب التي حلت به وببلده من قتل وتشريد وتجويع وبطش وإقصاء.. إلا أن قوة إيمانه وعمق صبره وطول جهاده وكفاحه فهو لم يستسلم ولن يستسلم لواقعه المر فالصبر سلاحه والإيمان قوته وجهاده.

إذن رغم الحرمان والإقصاء والتهميش الاجتماعي وممارسة أشكال التعذيب وتطبيق مختلف صوره من قتل وترهيب وتجويع وظلم وفقر وتشريد... من طرف الاحتلال الانجليزي على المجتمع المصري إلا أن هذا كله لم يؤثر على أخلاقيات المجتمع وقيمه الدينية والإنسانية الحميدة، فبقيت المبادئ والقيم الاخلاقية صامدة على حالها فهي لم تتغير ولن تتغير فالنداء الخالد لن يموت بل زاد قوة وصبرا وكفاح وشجاعة على تحدي الاحتلال ومجابهته بالأخلاق والدين فالشخصيات المهمشة كما رأينا تتصف بالمبادئ والقيم الدينية الإسلامية فكان الحب والصدق والوفاء والسلام والأمن والتعاون من صفاتهم، فرغم الالم والحزن والعذاب إلا ان الصمود كان أقوى من ذلك والصبر على البلاء من صفات المؤمن القوي والجهاد صفة من صفات الاسلام الأخلاقية فهذه الحرب لم تؤثر فيهم فهم

[1] نجيب الكيلاني: الصدر نفسه، ص 86.

صامدين ومكافحين وهذا كان ظاهرا في أقوالهم وأفعالهم، وهذا الشيء الايجابي بقي ثابت صامد في وجه المحتل وهذه غالبا صورة من صور الفئات المهمشة.

فالقيم الاخلاقية كانت تحمل صورة من صور المهمشين تحت ظل الاستعمار الغاشم التي نجدها منتشرة في الرواية وأحداثها التي تحمل الكثير من هاته القيم الانسانية والتي عنونها بالنداء الخالد الذي يبقى أبدي ولا يموت، يبث نوره في كل مكان فهي قدوة يحتذى بها في الواقع المعيش فالقيم الاخلاقية روحية أبدية ثابتة رغم الظروف والحالات والازمنة التي تمر بها فهي خالدة لن تتغير وهذا ما التمسناه لدى المهمشين في روايتنا هذه.

ب-المبحث الثاني: فنية تصوير المهمش في رواية"النداء الخالد" لنجيب الكيلاني

1-التصوير الخارجي:

يرتبط التصوير الخارجي للشخصية المهمشة كذلك بالمظهر الخارجي وبتفاصيلها الظاهرة(المادية)، ويقصد به كذلك البعد الجسمي والمظهر العام والسلوك الظاهري للشخصية لذلك: (فإن هذه الشخصية قابلة ــكما رأينا سابقاــ لأن تحدد من خلال سماتها، ومظهرها الخارجي)[1].

فالسمات والمظهر الخارجي هو من يحدد لنا الشخصية بكل تفاصيلها المادية وملامحها الخارجية.

[1]حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص 50.

إن قسمات وملامح الشخصية وبعدها المادي يتضمن دلالات نفسية واجتماعية، والشخصية في المعنى الشائع:(هي مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي)[1] .

إذن فالشخصية هي المظهر الخارجي بكل تفاصيله، وتشير الشخصية إلى:(الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الاخلاقية)[2]. لذلك تقترن الشخصية بالتصوير الخارجي، وهناك من يعتبر أن الشخصية هي الصفات الخارجية التي تميز الشخص عن غيره، فهي تتكون من مجموعة صفات وافعال وافكار وسمات وابعاد تميزها عن غيرها.

أما من خلال روايتنا فنجد أن شخصية **الخواجة يني** قد خصها الكاتب في عدة مواقف وأحداث بتصوير خارجي بكل تفاصيلها وبعدها الجسمي وسلوكها الظاهري من ملامح وقسمات خاصة ملامح الغضب منها أو ملامح الهدوء الذي يوحي ببرودة الاعصاب فهو رجل ظالم مستبد يقوم بالاحتيال على الاشخاص الذين لا حول لهم ولا قوة لنهب وسرقة ممتلكاتهم بانتهازه للفرص التي تساعده على ذلك، فنجد الكاتب في موقف يصوره بقوله:(والخواجة يني وهو يوناني يهودي مستوطن يملك في القرية مئات من الأفدنة وله تجارات واسعة)[3].

الخواجة يني رجل شرير ويصفه أهل القرية بأنه شيطان مستبد، فهو مهمش من قبل أهل القرية رغم انه رجل ثري لكن بقسوته وظلمه لأهل القرية جعل منهم يستبعدونه ولا يهتمون به ولا يحترمونه.

---

[1] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، ع01، 1986. ص 210.

[2] إبراهيم فتحي: المرجع نفسه، ص 210.

[3] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 14.

وفي موقف آخر يصوره الكاتب بكل تفاصيله الخارجية والفيزيولوجية فنجده يقول: (و**الخواجة يني** رجل قد ناهز الاربعين من عمره.. هادئ الاعصاب لدرجة مثيرة.. باسم دائما لكنها ابتسامة خبيثة من النوع الذي يبعث على الضيق.. شديد سواد القلب كما يقول الفلاحون.. يشبه إلى حد كبير فص القطن الابيض بداخله بذرة سوداء)[1].

إن شخصية الخواجة توحي من بعيد على الجمال فهو رجل دائم الابتسام ولكن من يعرفه يجد بأن تلك الابتسامة هي ابتسامة خبث وكما يصوره الفلاحون أنه يشبه فص القطن الذي ظاهره ابيض جميل لكن بداخله بذرة سوداء هي التي تنبت الشر داخله.

أما تشبيههم له بفص القطن فهو راجع إلى البيئة التي يعيشون فيها فهم اغلب تجارتهم تقوم على القطن وأكثر المحاصيل الزراعية هي للقطن فالبيئة تحكمت في تشبيههم للخواجة وهم يعلمون أن فص القطن داخله بذرة سوداء وهم يعلمون كذلك أن الخواجة جميل الوجه وباسم الثغر لكن قلبه اسود وبداخله بذرة الشر السوداء.

ويصفه الفلاحون في موقف آخر:(لا ينكر أحد ان الخواجة يني ــاليهودي الاصل ــ بارع في طرق الاستغلال، متمكن في فن إنماء الثروة، وإرباء ماله، حتى لكأنه قد ولد وليس له رسالة في الوجود سوى جمع المال بأية وسيلة، وكان طريقه شائكا، لكنه كان شديد الحرص[...] وكان يعتقد بحكمة غريبة لعله هو مؤلفها، وهي < لكي ينمو مالك.. وتنجح في الحياة.. يجب ان تعيش بلا

[1]نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 59.

ضمير>.. ومن ثم كان يعتبر الرحمة سذاجة.. والتصدق ــ لغير هدف ــ غباء والصداقةــ دون هدف مادي ــ لا وجود لها)[1].

من خلال هذا كله نجد ان الخواجة رجل يعبد المال هدفه بالحياة هو جمع المال بأي طريقة كانت،وهمه الوحيد هو كيف يزيد من ثروته وأمواله، لذلك هو منبوذ من اهل قريته.

ونجد ايضا شخصية **الشيخ عنبة** وهو ذلك الشيخ اللطيف الطيب، لم ينس الكاتب ان يعطيه نصيبه من التصوير الخارجي فنجده يقول: (الشيخ عنبة رجل طيب طاهر، حقا ان < دكانه> فيه قليل من البضائع، لكنه لا يتراخى عن تأدية الواجب)[2] .

هنا زوجة خفاجة تصف الشيخ عنبة بأنه رجل طيب ويساعد المحتاج مهما كان ظرفه وهو محترم يحب الخير للناس وكما يصفه الفلاحون بقولهم بأنه أب للجميع.

والشيخ عنبة :(تقدمت به السن..لكنه حريص دائما على مجالسة الشباب.. كلهم أبناؤه، ويظل يحدثهم في دكانه الصغير عن ثورة عرابي.. وعن حبيبه < جمال الدين الأفغاني وعن جمهورية **زفتي** في ثورة 1919[...] ويقرا لهم شعر **حافظ إبراهيم** بصوت متهدر مؤثر)[3].

هنا في هذا الموقف نجد بأن الشيخ عنبة خصه الكاتب بنوع من الوصف الخاص فهو انسان يحبه الجميع طيب القلب وهو صديق للجميع صغير وكبير وهو انسان

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 210.
[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 216.
[3] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 221.

مثقف عاصر الشيخ جمال الدين الافغاني وهو يحفظ جميع مقولاته ويظل يلقنها لأهل القرية .

وفي موقف آخر نجده يصفه بقوله:(تذكر الشيخ عنبة بسمته الهادئ الورع.. ولحيته البيضاء.. وجلسته على المنبر يعظ الناس.. ودوره في إزالة الأحقاد والخصومات.. ووقوفه دائما إلى جانب المظلومين والمساكين)[1].

وهنا في هذا الموقف نجد خفاجة وهو يتذكر الشيخ عنبة بعدما أمره الخواجة يني بقتله، فلم يستطع فعل ذلك لأن الشيخ عنبة يحبه الجميع وهو إنسان صالح يساعد المحتاجين ويقف إلى جانب المظلومين.

وكان الشيخ عنبة: (لا يترك مناسبة تمر دون أن يعلق عليها، ولم يكن التعليق من بنات أفكاره، فقد كان يحفظ كلمات الشيخ <جمال الدين الأفغاني ومقالاته عن ظهر قلب لطول ملازمته إياه أيام أن كان طالبا في الأزهر وكان يطلق على الافغاني حبيبي)[2].

وهذا دليل على ثقافته وعلمه الواسع فقد كان شديد التأثر بجمال الدين الافغاني حتى انه يسميه < حبيبي> ومن هنا نجد أن الشيخ عنبة صور تصويرا خارجيا دقيقا يمكننا من ان نرسم له صورة في أذهاننا ونتخيله بها لكن رغم كل هذا فقد كان الشيخ عنبة مهمشا كباقي اهل قريته من قبل سلطة الاستعمار الغاشم.

برع الكاتب في تصوير شخصياته في شكلها الخارجي وبعدها المادي والجسمي.

2-التصوير الداخلي :

[1] نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص 100.

[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 10.

يرتبط التصوير الداخلي بالحالات الشعورية وله علاقة مع الذات والعاطفة وهو مرتبط بالإنفعالات والأحاسيس والعواطف والأفكار والتصورات النفسية للشخصيات في الرواية، فالكاتب يبدع في تصوير تلك الحالات الانفعالية التي تحدث نتيجة ظروف معينة يمر بها الإنسان وتلك الحالات الشعورية تختلف وتتنوع حسب الحالة تحدث له، والحالات النفسية عادة تبني على أساس الواقع المعيشي للشخص، فالسارد يبدع ويخلق في تصويرها يشكلها في قالب فني جميل، فنجد كمثال أن شخص يعيش حالة حرب واحتلال، فأكيد أن تلك الظروف والواقع سينعكس عليه، فتغير من معيشته سواء ايجابيا أو سلبيا، وغالبا تكون بالسلب، فيصبح لديه كثافة داخلية أو مكنونات وانفعالات في الشعور تظهر من خلال انفعالاته وتصرفاته.. فيؤثر على حالته الشعورية، وهذا ما التمسناه في قول الكاتب الذي أعطى مثالا بالاحتلال الذي يولد حالات شعورية وينعكس على الواقع والمجتمع حيث يقول:(ما أفرزه الاحتلال من علاقات جديدة نراها في النص الروائي حاضرة بكثافتها الداخلية ووقائعها وتفصيلاتها)[1].

ومن هنا نجد السارد يبدع ويخلق في تصويره، ويشكل تلك الكثافة التي عادة ما تكون مرتبطة بالحالات الشعورية للشخصيات في الرواية في قالب فني جميل، وذكر تفاصيلها واقعا وتخييلا في مختلف إبداعاتهم الروائية والفنية، ويظهر ذلك بتركيزه على الشخصيات ودوافعها وانفعالاتها وأفكارها الداخلية بكثافة وغزارة ابداعية وفنية وجمالية، فتلك الكثافة الشعورية والحالات الداخلية للانسان بكل تغيراتها ومزاجاتها النفسية التي تحدث لها تترك أثرا في نفوس المبدعين وبها تفجر الاقلام كتاباتها بالإبداع والخلق الفني الجميل.

[1] حسن نجمي: شعرية الفضاء" المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط01، 2000،بيروت، لبنان، ص 197.

فنجده صور شخصية " أم أحمد" المرأة المهمشة التي عانت ويلات الألم والحزن، فاعتقال زوجها دمر كيانها فأصبحت كالمجنونة في الشوارع فنجد نفسيتها دمرت بالكامل إثر هذه الفاجعة المؤلمة، فحالتها النفسية تأزمت وأصابها حزن عميق تمكن منها وكان هذا ظاهرا عليها من خلال الأفعال والحركات التي كانت تقوم بها أمام الملأ أثناء الاعتقال في قول الكاتب:(ولم تعرها "أم أحمد" أي التفات، فلقد بدت المسكينة وكأنها قد أصبحت فريسة لنوبة من نوبات الجنون المدمر)[1].

فقد أصابها جنون هالك ومدمر فهي في حالة هستيرية نفسية جنونية، فقدت السيطرة على نفسها ووعيها تماما فهي أم لم تعد قادرة على التحمل فالخوف دمرها وأصابها بالشلل النفسي فكان الفقدان صعبا والإرهاق النفسي أصعب منه فهذه هي حالة الإنسان المتعب والحزين ويواصل الكاتب في وصف الحالة النفسية للشخصية أحمد ابن عبد العزيز شلبي الذي أصبح كاليتيم بفقدان أبيه، فصدم بالحقيقة المرة هو الآخر، فكانت الدموع تنهمر بغزارة إثر سماعه الخبر ووجهه شاحب اللون مرارة الألم بادية على وجهه وقلبه يتمزق من الداخل، هذا الشعور شبيه بالحبل الذي يلف عنقه ويريد أن يخنقه ويزهق روحه، فالضيق والحسرة والعجز تملكا فؤاده، صار هذا الألم كالإنسان الشرير الذي لا يرحم في ظلمه وكأنه مرض قاتل ليس له علاج، ونلمسه في قول الكاتب: (وكانت دموع" أحمد" تنهمر، وعرقه يسيل غزيرا والنظارات المذعورة تتركز على وجهه المحتنق المنفعل، وساد الجميع شعور بالمرارة لا يرحم.. هذا الشعور يبدو وكأنه حبل متين يلتف حول رقابهم في قسوة، بغية إزهاق أرواحهم، لم يعد للحياة معنى)[2].

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص8 .

[2] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص09.

فكانت كل النظرات مصوبة نحوه والانفعال الذي بدا على وجهه، والجميع حوله، يحسون بنفس مرارة الألم والحزن وكأن الحزن يأكل أجسادهم فأفقدهم معنى الحياة، فقدان الأب شعور صعب على أحمد وعلى الجميع لأن الأزمة والحزن حل بالجميع، لكن الحالة النفسية والرعب والخوف الذي حل بأحمد كان أضعاف، فالحزن دخله كالمخدر الذي يدمر الإنسان كاملا في مدة قصيرة وهذا حال الإنسان تحت وقعة الحرب والقسوة الإستعمارية.

ويستدرج كذلك تصويرا داخليا جديدا وحدثا أليما وحالة شعورية يعتليها الحزن والتأزم، والمتمثلة في شخصية "عبد العزيز شلبي " أثناء خروجه من السجن وتوديع رفقائه الباقين، فكان ذلك المشهد حزين وأليم للجميع، فكان مشهدا مخيفا ومرعبا يدمي العقول ويقتل القلوب بالحسرة والألم، لم يأبى أن يترك رفقائه وسط الزنزانة الموحشة فهو يعرف مدى الإحساس الأليم والمر بالوجود فيه.

وكان عبد العزيز شلبي يتطلع نحو تلك النظرات الشاحبة و الوجوه الحزينة والأفواه الصامتة في تلك الزنزانة المخيفة، فالمنظر مزق كيانه وقتل روحه بالحسرة والمرارة، فعبد العزيز شلبي لم يفرح ويسر لحظة خروجه من السجن أبدا، وكيف يفرح ورجال بلده مرمون في السجون بالظلم والقسوة من دون سبب، فالحزن بادعلى وجهه، كأنه في موكب جنائزي حزين، فكان حقا حزين وأليم على الجميع فالمشهد لم يكن بالسهل في قول الكاتب:(كان مشهدا يُدمي القلوب، ويبعث على الحسرة والألم.. ونظاراتهم الزائغة.. وخطواتهم الواهنة وموكبهم الحزين.. ونفسه تتمزق ألما)[1].

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص48.

فالحزن والألم الذي حل بالرجل كان نابعا من عاطفة الرجل و قلبه الطيب على رفاقه وهذا دليل على شخصية الرجل المثقفة وإنسانيته النبيلة و المخلصة لوطنه ومجتمعه، فهو يفكر بغيره لا بنفسه أو يفكر بأمة كاملة وما حل بها من دمار وخراب وظلم حاملا ثقل الهموم والأحزان على مصير أمة أصابها مرض بلا علاج فما عساه أن يفعل، فهو يشعر أنه مكتوف الأيدي ضعيفا منهزما، فالخروج من السجن لم يسعده أبدا بل زاده هما على هم والحزن والألم لم يتركوه حتى يرى بلده مستقلة بحريتها كاملة.

وفي مقطع آخر يتحدث الكاتب عن المرض الذي أصاب العمدة وألزمه الفراش وأوهن عظامه وأكثر عليه الهموم والأحزان وحرماه من النوم في الليالي الحالكات، فنجد العمدة يتحسر ويتألم ويتجرع العذاب، فهو يبكي بحرقة عميقة على العمر الذي أضاعه في إرتكاب المصائب والعصيان، فهو يتمنى أن يرجع به الزمن، ليصحح أخطاءه ويكفر عن ذنوبه التي فعلها وهي ظلم الأبرياء أبناء بلده بعمله لصالح الاستعمار الإنجليزي فالمرض الذي حل به أعاده إلى رشده، فبذلك نجد الكاتب يصور الحالة النفسية الداخلية للعمدة والحسرة والندم في ضياع الوقت والعمر وإرتكاب الذنوب جعلت من نفسه تتحطم وتتجرع الآلام والأحزان وفي قوله: (أبكي على عمري الذي ضاع في العصيان.. إنني أتمنى الآن أن أعيش مئة عام أخرى ،أنا لا أعترض على مشيئة الله.. ولكني أريد الحياة لأكفر عن خطاياي)[1].

فهو يريد أن يرجع به الزمن إلى الماضي وأن يعطيه الله عز وجل حياة جديدة للخلاص من العصيان والتكفير في الخطايا التي أرتكبت كانت له هاجس كبير فهو يخاف أن يبعث إلى ربه على تلك الذنوب والمعاصي، فيريد التوبة قبل

[1] نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص 129.

الموت، فحالة العمدة كانت حالة نفسية متأزمة نادم على أفعاله والحسرة تمزق قلبه ولعل الزمن يعود ويشفي أحزانه وآلامه.

ولا ننكر أن الذكريات القاسية والظروف الصعبة التي يعيشها الشخص، تترك فيه آثار في الغالب تكون سلبية،فتلك الأفعال والأفكار والشحنات التي يتحملها الفرد في سيرورة حياته، تكون له جملة من المكبوتات والتصورات والإنفعالات السلبية في باطن شعوره، قد تعود عليه يوما في حياته، فيصبح مريض بمرض ما يكون التمثل أو الخوف أو الجنون أو الكآبة.. الخ فالذكريات المؤلمة تعود على النفس بالسلب ويكون ذلك على الفرد والمجتمع فتصبح الحالة خطيرة ومتأزمة وهذا ما حدث في شخصية "الخواجة" فقد تلقى ضربات موجعة في طفولته وعان ويلات الظلم والقهر من زوج أمه وموت أبيه والعمل القاسي الذي يعمله وهذه الظروف سيطرت على حالته النفسية وصار قاتل بالنهاية وظالم شرير علمته القتل بلا رحمة، فهي مكبوتات إنجرت عليها إنفعالات نفسية والقتل والظلم والسطو وغيرها من الأفعال التي يقوم بها هذا الرجل جراء الألم والظلم الذي تلقاه في طفولته في قول الكاتب: (لا أعرف.. ولكني أذكر أنني قاسيت كثيرا في طفولتي وأذكر أن أبي مات بعيدا في أعمال الصخرة أيام حفر قناة السويس، وتزوجت أمي من رجل شرس سقاني الهوان وأشتغلت أجيرا في أحد التفاتيش السلطانية.. وهناك ذقت الكرباج لأول مرة..كان قاسيا..ولم أستطع أن أنعم بالراحة إلا بعد أن اكتشفت قوتي ودهائي فتعلمت الانتقام)[1].

فعلماء النفس يعرجون على هذه الحالات الشعورية أي الذكريات المؤلمة نتيجة الظروف المرة والصعبة تولد عنيفا بلا ضمير مع ذاته ومع الآخرين، والمثال شخصية "الخواجة" ذاق العذاب في بيته ولم ينعم بالراحة منذ نعومة

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص101.

أظافره فهو ينام على الضرب ويستيقظ عليه في كل مكان وهو طفل بريء فالحالة الشعورية المتأزمة التي تلقاه في حياته انعكست على مستقبله وولدت منه رجلا قاسيا وعصبيا هدفه الانتقام وارتكاب الجرائم فحسب والتي تدفع به إلى البلاء على نفسه وعلى مجتمعه دون مبالاة لأن الخوف والتفكير في نفسه لم يعد يهمه أو يخسر شيء في ذلك فالمكبوتات التي تكون سلبية غالبا تؤدى بالهاوية وتكون خطيرة على المجتمع والفرد ذاته.

وفي جحيم الحرب الحرب وطوفان المظالم والواقعة الأليمة التي حلت على مصر والطغيان الذي وقع على أهلها والثروات والحروب التي قامت للدفاع عن الحرية والاستقلال التام للوطن من ظلمة وحجم الاستعمار، لا مانع أن يتسلل شيء جميل فطري يفرح ويثلج القلوب، بين شابين أحب بعضهما حب عفيفا طاهرا، وبعث الرسائل يخبران بعضهما عن مشاعرهما الحقيقية آملين بذلك أن يتحقق النصر والإستقلال وينعما بالحرية مع بعض تحت سقف واحد، ومن هنا نجد "صابرين" الفتاة الجميلة التي تتعلق بقلب الشاب الوسيم "أحمد شلبي" وهاهي الآن تعبر عن مشاعرها وأحاسيسها ومدى الحب العميق له، فهي لم تتذوق نوم الراحة منذ أن عرضت ذلك فالأحلام الجميلة دائما تراودها والتفكير به لم يتركها أبدا وما أجمله شعور حين يسعدها ويبعث فيها الأحلام والأمال في قولها: (لم تنم "صابرين" ليلتها، فقد باتت تفكر في أمر واحد، لم تكن شتائمها إلا تعبيرا عكسيا في حبها العميق له، وأخذت تستعيد كلمات أمها كلمة كلمة، وتقف عند جملتها عن "أحمد" زينة شباب البلد، وتهيم في عالم وردي مفروش بريش النعام والزهور العطرة الأريج وتتخيل "أحمد " إلى جوارها ببسمته الحلوة، وسمرته الفاتنة...)[1].

[1]نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص73.

فكانت "صابرين" ترسم خياله وأحلامه مع ذلك الرجل الذي عرفت أنها تحبه من أعماق قلبها،فتركت العنان للعاطفة والحب والحنان، فالسعادة التي غمرتها، لم تتركها تنام فتجدها تارة تتخيله أمامها بابتسامته الثاغرة وتارة تتذكر كلامه الحلو عليه وتارة تذهب مسرعة إلى النافذة تراه، فالحالة النفسية والشعورية "صابرين" سعيدة جدا بالشيء الذي طرق قلبها من دون استئذان.

الفصل الثالث:

الشخصية المهمشة في رواية "النداء الخالد"

أ-المبحث الأول: صورة الشخصية المهمشة في الرواية .

1- مفهوم الشخصية

2- الشخصية المهمشة في الرواية

ب-المبحث الثاني: صورة المكان الهامشي في الرواية.

1- صورة المدينة المهمشة

2- صورة القرية المهمشة

أ- المبحث الأول :صورة الشخصية المهمشة في الرواية

1ــ مفهوم الشخصية:

تعتبر الشخصية هي المحرك الرئيسي للأحداث في الرواية، ورغم كونها كائنات من ورق يرى رولان بارث إلا أن دورها مهم في الرواية لكونها المؤدي للدور الذي يفترضه الروائي، ويمكن النظر لها من زاويتين، الأولى متمثلة في صفاتها الداخلية والخارجية، والثانية متمثلة في الأدوار التي تقوم بها فالشخصية هي:(كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف، الشخصية عنصر مصنوع، مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموعة الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها)[1].

فالشخصية إذن هي من يبث الحياة في الرواية وهي عنصر فاعل في تطور الأحداث، والشخصية: (في المعنى الشائع هي مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي)[2].

هناك من يعتبر أن الشخصية هي الصفات والملامح الخارجية التي تميز الشخص وهي المظهر الخارجي.

وترى يمنى العيد أن الشخصيات:(باختلافها هي التي تولد الأحداث وهذه الأحداث تنتج من خلال العلاقات التي بين الشخصيات فالفعل هو ما يمارسه

---

[1] لطيف زيتوني :معجم مصطلحات نقد الرواية ،عربي ، إنجليزي ،فرنسي ، دار النهار للنشر ،لبنان ،ط1، 2001 ،ص 113-114.

[2] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية ، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر :صفاقس ،01 ، 1986 ،ص210.

الأشخاص بإقامة علاقات فيما بينهم ينسجونها وتنمو بهم، فتتشابك وتنعقد وفق منطق خاص به)[1].

لهذا فالشخصية عنصر أساسي في العمل الروائي فأغلب الروايات ما هي إلا أحداث وأفعال تقوم بها الشخصيات.

تعتبر الشخصيات محور الرواية الرئيسي إذ أن: (الشخصية في الرواية تختلف في الأساس عند الشخص العادي الذي يوجد النصوص، فلقد أثارت هذه المسألة الدارسين ونقاد الرواية فكان منهم من اعتنى بنظرية الرواية وهناك من اعتنى بعلم السرد في تصنيف الشخصيات تصنيفا يتلاءم مع الشخصيات الفنية والسمات الذاتية والوظائف التي تناط بكل شخصية من الشخصيات)[2].

فهي ذات طابع وظيفي وتخضع لاعتبارات مفهومية، ولأنها متعددة الوظائف والتصنيفات، يمكن أن تكون صوت الكاتب نفسه وليس شخصيتة حيث نجد أن هناك: (أنواعا روائية تطرح مشكلا، ففي عدد من المحكيات نجد تقابلا بين شخصيتين خصمين متكافئين تتساوى أفعالها ويصير البطل في حالة مضاعفا بحيث يصعب تحديد هوية البطل كما أن مكانة الشخصية وأهميتها تختلف من شكل روائي إلى آخر)[3].

وأمام تعدد تصنيفات الشخصية –وذلك لتعدد معايير التصنيف ــإخترنا تصنيف شخصيات روايتنا "النداء الخالد" بالنظر إلى وجهة الفاعلية والأدوار التي تؤديها في العمل الروائي إلى المستويات التالية: شخصيات رئيسية، وشخصيات

---

[1] يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، ط01 ، 1990، ص40.

[2] إبراهيم خليل : بنية النص الروائي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط01 ،2010 ،ص194.

[3] محمد بوعزة : تحليل النص السردي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط01 ، 2010 ،ص49.

ثانوية، وشخصيات هامشية، ونظرا لموضوع الدراسة فنحن نعني بالشخصيات الهامشية ورصدها في الرواية، والشخصية الهامشية هي: (كائن ليس فعالا في المواقف والأحداث المروية، ويعد جزءا من الخلفية (الإطار)[1].

وتمثل الشخصية الهامشية كل مشارك في الرواية فكل شخصية لها دور ما تقوم به، إذ:(أن الشخصيات في العمل الروائي لا تتساوى من حيث الأدوار والوظائف فبعضها قد تكون وظيفتها هامشية لا تتعدى حضور موقف جماعي، أو التلفظ بكلمة في حوار وما شابه ذلك)[2].

فالشخصيات الهامشية ذات أدوار صغيرة يقتضيها تطور الأحداث وتسلسلها حيث أنها: (لا دور لها في الواقع ولا وظيفة تذكر إلا أن وجودها ضروري، فهم متممون لأجزاء من المشهد السردي والحواري أو المكاني)[3].

وتعتبر شخصيات هامشية لأن وجودها محدود وتؤدي دورا أقل أهمية، ولكن وجودها ضروري لأنها جزء من المشهد السردي ولا يمكن الاستغناء عنها.

وفي روايتنا "النداء الخالد" نجد عدة أشكال للشخصيات المهمشة، فهناك شخصيات مهمشة من طرف السلطة والاحتلال وهي أغلب الشخصيات في الرواية.

وهناك شخصيات مهمشة من قبل المجتمع، وشخصيات أخرى همشت من طرف الرواية في حد ذاتها فهي لم تذكر في الأحداث إلا بشكل عابر واكتفى الراوي بذكرها فقط لأنها تؤدي دورا وتختفي.

---

[1] جيرالد برنس : قاموس السرديات ، تره السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة مصر ،ط01 ،2003 ،ص159.

[2] إبراهيم الخليل : بنية النص الروائي ،ص198.

[3] إبراهيم الخليل : المرجع نفسه ، ص199.

أما في روايتنا فنجد من بين الشخصيات التي همشت من طرف السلطة الإستعمارية: "عبد العزيز شلبي"، و"أبو المعاطي الشافعي"، والشيخ "عنبه المتولي"، و"العمدة خلاف عبد المتجلي"، فقد تم القبض عليهم من طرف السلطات الإنجليزية بتهمة التحريض على الثورة وزجوهم في السجن:(لكن الإنجليز يعترضون على سفر الوفد، ويصدرون أوامرهم إلى مديري الأقاليم بالتصدي لحملة التوكيلات ووقفها.. بحجة أنها مثيرة للفتن.. و"الشيخ عبد العزيز شلبي" يسير إلى جواره، و"أبو المعاطي الشافعي" الذي أفرج عنه حديثا.. وقد انتابته نوبة عميقة من الإحساس بالوطنية العارمة.. يشاركهم في العمل)[1].

لقد أمرت القوات الإنجليزية بالقبض على الكثير من الزعماء والعمد لا لشيء إنما لحدهم عن المطالبة بحقهم وهو الحرية والاستقلال، فجاء الضابط الإنجليزي وأمر بالقبض عليهم: (أمر بالقبض على الشيخ "عنبه المتولي" و"عبد العزيز شلبي"..و"أبو المعاطي الشافعي"لمخالفتهم الصريحة لأمر العسكري.

ورفع الضابط عينين ساخرتين إلى العمدة واستطرد:

ثم أمر بالقبض على حضرة العمدة "خلاف عبد المتجلي".. لإهمالها في تنفيذ الأوامر..ومعاونته للمنحرفين)[2].

إن السلطة الإنجليزية لم تطل الزعماء وعمد القرى فقط بل كل الشعب المصري، فلم تترك صغيرا ولا كبيرا ولا شيخا ولا شابا إلا وطاله ظلمهم إما بالسجن والتعذيب أو برصاصة غادرة منه فالحكومة الانجليزية (قبضت على "خلاف عبد

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص149.

[2]نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص150.

المتجلي" و"أبو المعاطي الشافعي" و"عبد العزيز شلبي".. والعبد لله "عنبه المتولي" وآلاف غيرنا)[1].

لكن رغم الجرائم التي قامت بها السلطة الإنجليزية في حق الشعب المصري إلا أنه لم يستسلم وواصل الكفاح بكل صبر فنداء الحرية لن يموت مادام طوفان الثورة يكتسح أحزان الماضي.

أما في ما يخص الشخصيات التي همشت من قبل المجتمع المصري في روايتنا فنجد من بينهم:"عبد الغفار الطبال" ذلك الشاب العليل الأعرج وكان أهل القرية ينعتونه بالمجنون لم يكن أحد من الفلاحين وأهل القرية يهتم به أو يلقي له بالا: (فلم يطق "خفاجة " صبرا،أوصلت الحال لأن يقف هذا الأبله الأعرج المتسول، ويجرح شعور الخواجة، وهو مخلوق تافه لا وزن له، واقترب منه "خفاجة" مسددا اليه نظرات الوعيد الحاقدة [...]وجره بعيدا ثم قذف به في عرض الشارع، و"عبد الغفار" يبكي رعبا وهلعا)[2].

هذا الموقف يبين لنا مدى احتقار المجتمع لعبد الغفار الطبال لأنه شاب مجنون أعرج،فكان يعاني من الحرمان والاستبعاد والاحتقار من قبل مجتمعه.

ونجد أيضا شخصية "خفاجة" وهو: (رجل غريب الأطوار، قلما يجهله أحد إسمه على كل لسان، قصير ماكر، له عينا صقر، وخفة ثعلب، وبطش نمر[...] يصفه الشيخ "عنبه"بقوله: " شيطان مريد، ذو دهاء إنجليزي "، الجميع يعرفونه أنه قاتل محترف [...] يبتعدون عنه اتقاءا لأذاه، وتجنبا لغدره)[3].

---

[1]نجيب الكيلاني: المصدر نفسه، ص156.

[2]نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص108.

[3]نجيب الكيلاني : المصدر نفسه، ص95.

نجد أن أهالي القرية ينبذونه لأنه ماكر ولا يسلم أحد من أذاه والجميع يخافونه لما يسببه لهم من مشاكل فنجده إذا طلب شيئا من أحد الفلاحين ينفذ له فورا لأنه يهابه لما يبثه من رعب في قلوب الفلاحين لذلك فهو منبوذ من قبل مجتمعه، يعاني الإقصاء والاستبعاد لأنه يسبب المشاكل لأهل قريته.

ونجد أيضا شخصية "الحاج إبراهيم" وهو وكيل أعمال "الخواجة يني" وهو يشرف على أراضيه التي يملكها والتي استولى عليها من الفلاحين بأثمان زهيدة، إذ أن "الحاج إبراهيم": (يتفق مع رئيسه في كثير من الصفات وأهمها برودة الأعصاب وعدم الإعتراف بالرحمة في المعاملات التجارية والمادية.. ولعله هو اليد اليمنى للخواجة..لأنه من أسرة كبيرة بالقرية ذات بطش ومهابة)[1].

لذلك فأهل القرية لا يحبونه لأنه شرير وليس في قلبه ذرة رحمة فهو يقسو على الفلاحين في معاملاته التجارية معهم ويقوم باستغلالهم كما يأمره الخواجة بذلك،وأغلب الفلاحين يكرهونه لأنه مثيل لسيده لذلك كل أهل القرية ومجتمعه يستعبدونه بسبب الصفات السيئة التي يتحلى بها.

أما عن الشخصيات التي همشت من طرف الرواية في حد ذاتها ونجدها ذكرت هكذا عابرة وفقط، فنجد من بينها "أم أحمد" التي لم تذكر في الرواية إلا نادرا وذلك لمقتضى الحدث فذكرت في مواقف محدودة وهي كالآتي: وأول موقف كان حينما أخذ زوجها إلى السجن فصور لنا الكاتب حالتها انذاك بقوله: (وكانت سيدة البيت– زوجة عبد العزيز شلبي– تلطم خدودها، وتشق ثيابها وتلطخ وجهها ويديها بالطين)[2].

[1]نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص60.

[2]نجيب الكيلاني : المصدر نفسه، ص07.

في هذا الموقف كانت أم أحمد بحالة يرثى لها بسبب اعتقال زوجها من قبل السلطات الإنجليزية.

وثاني موقف هو عندما سألتها إحدى العجائز عن سبب نحيبها وبكائها هكذا:(ماذا جرى يا أم أحمد؟..ولم تعرها " أم أحمد" أي التفات، فلقد بدت المسكينة وكأنها قد أصبحت فريسة لنوبة من نوبات الجنون المدمر، كانت تدق صدرها، وتضرب رأسها في الحائط، وتشد خصلات شعرها تريد اقتلاعها)[1].

ففي هذا الموقف لم تعر أم أحمد جارتها العجوز أي انتباه ولم تجبها عن سؤالها فهي لم تكن تستوعب شيئا سوى أن زوجها قد أخذ إلى المعتقل حيث لا رجعة منه.

أما آخر موقف ذكرت فيه أم أحمد هو عندما أراد ابنها أحمد السفر إلى "**زفتي**" للمشاركة في الدفاع عنها بالأسلحة البدائية، فحاولت أمه منعه من ذلك لأنه لا يزال جريحا ولا يزال يشعر بالألم في فخذه الذي أصيب في أثناء المظاهرات، لذالك لن تدعه يخاطر بنفسه وهو لا يزال مصاب خاصة وأنه وحيدها و لا تحتمل أي أذى فيه أو فقدانه لذلك قالت له : (لن أتركك تخرج إلا على جثتي.

فنظر إليها "أحمد" مبهوتا:

– لا داعي لهذا الكلام.. لست طفلا..إنني رجل وأعرف ماذا أفعل.

– لن أتراجع.

– يا أمي.

[1]نجيب الكيلاني : المصدر نفسه، ص08.

– لم تزل جريحا..ومقاومة القوات المسلحة المدربة جنون...)[1].

ولكن في آخر المطاف أذعن "أحمد" لأمر والدته طاعة لها ولأنه لازال يشعر بالألم حقيقة.

برغم هامشية وجود شخصية "أم أحمد"، إلا أنها تميزت بملامح وسمات إنسانية تجلت في المحبة والحرص على ولدها "أم أحمد" والإخلاص لزوجها "عبد العزيز شلبي" والصبر على متاعب الحياة وقسوتها، وقد أسهمت شخصية الأم في إثراء الأحداث ومجرياتها.

وللتوضيح أكثر ولتقريب الصورة ارتأينا أن نضع جدولا جمعنا فيه أغلب الشخصيات الهامشية الموجودة في الرواية، ورصدناها بكل أشكالها التي ذكرناها سابقا وهي موضحة في الجدول كالآتي:

شخصيات مهمشة من طرف السلطة الإستعمارية	شخصيات مهمشة من طرف المجتمع	شخصيات همشت في الرواية
– عبد العزيز شلبي –أحمد أفندي –العمدة خلاف عبد المتجلي –أبو المعاطي الشافعي –الشيخ عنبه	–عبد الغفار الطبال –الحاج إبراهيم –خفاجة –الخواجة يني –صابرين	- أم أحمد – أم الخير أبو الذهب – الأطفال أم صابرين – ويلسون –السلطان حسين الكامل –السلطان أحمد فؤاد –سعد باشا – قاسم أمين –حافظ إبراهيم

[1]نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص205 –206.

		-إسماعيل بك أحمد -يوسف الجندي -محمد علي – رشدي باشا -الشيخ عجينة -لطيف أفندي -زوجة خال صابرين -أرملة خفاجة

ملاحظة: إن كل الشخصيات التي ذكرناها في الجدول هي شخصيات همشت من طرف السلطة الاستعمارية وعانت من ويلات الحرب فهي ككل شخصيات هامشية.

المبحث الثاني: صورة المكان المهمش في رواية "النداء الخالد":

إن اتجاهات الكتابة الروائية تقتض استخدام التقنيات الروائية، فالمكان له أهمية بالغة باعتباره يحدد وقوع حدوثها، وتصوير الواقع ومحاولة تجسيده بسلبياته وايجابياته بحيث:(أن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثه بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن

يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني)[1].

فالمكان في العمل الروائي يتجاوز كونه خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو العنصر الغالب فيها ولا يمكن الاستغناء عنه، باعتباره محور أساس من المحاور التي تدور حولها الرواية، ونظرا لأهميته ومكانته في تصوير الواقع نجد الكاتب يبدع في تصوير الأمكنة سواء كان ذلك واقعيا أم تخيلا أم هامشيا، فالمكان يتعايش مع ذات الشخصية ويحمل همومها وأحوالها، وكل ما يحدث لها من إنفعالات وتصورات وأحداث تتطور في الحبكة السردية، وهكذا يخلق الكاتب المكان ويجعل منه حيزا متحركا وينمو مع نمو أحداث الرواية، وبذلك التحرك يعطي للمكان شاعرية وفنية خاصة تميزه، فالمكان يحمل جمالية متميزة، وذلك بعلاقته مع الفنان، فنجد الفنان المبدع يتحسس ويتذوق عمله الإبداعي من خلال التفاعلات والإحساسات والتخيلات التي تكون عمله وأحداثه وتشكل له الأمكنة التي تدور حولها الشخصيات وتقوم بأدوارها فيه، فيصبح المكان كائن حي يسيطر على المشاعر الإنسانية والمواقف في الأمكنة التي تعيشها والأحداث التي تجرى لها، من خوف، وحب، وألفة، وظلم، والحلم، واليقظة وغيرها من المشاعر الإنسانية، في حين هناك أماكن أخرى قمعية وسلبية تخلق تلك المشاعر الإنسانية والمتمثلة في السجون والمنافي وأماكن التعذيب وأماكن الاستعمار وهذه صور الأماكن المهمشة التي تؤثر في الإنسان ونفسيته، وتفقده لذة الحياة وقيمتها وكذلك المتعة فيها، ومهمة السرد وسارده أن يكشف كل التأثيرات النفسية وعلاقتها بالأمكنة ومدى تأثيره على الشخوص من خلال الحياة الاجتماعية، وتأثير المكان

[1] حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1991، ص65.

على نفسية الشخوص يشكل وعيهم بالحياة التي يعيشونها بحلوها ومرها وسلبياتها وإجاباتها، ويمثل المكان بؤرة مهمة في الرواية التي تناولت صور التهميش بأنواعه، وهذا ما نلتمسه في رواية نجيب الكيلاني "النداء الخالد" التي حملت في عاتقها معاني سامية و أهداف نبيلة ذات أبعاد إنسانية ودينية واجتماعية والتي تناولت صورة المهمش من شتى الجوانب النفسية والإنسانية والاجتماعية وكذلك صورة الواقع المصري وتناولت الأماكن والبيئات الهامشية، فنجد الكاتب برع في تصوير الأماكن والأرياف والمدن المصرية المهمشة تحت وطأة الاستعمار الإنجليزي، فسيطر عليها وجعل منها قاعات قذرة ومارس عليها أشكال العنف والتخريب والتشويه، فصارت بذلك أماكن تابعة له فهو الآمر والناهي وذلك بإقصاء وقمع وتحقير وتشريد سكانها، فنحاول أن نتطرق له من خلال وصف بعض الأماكن في الرواية:

1ــ صورة المدينة المهمشة :

باعتبار أن المكان له أهمية كبيرة في سرد الأحداث وتسلسلها، فالأمكنة هي التي تجعل الشخصيات تتحرك وتقوم بأدوارها، فالمكان بؤرة أساسية في نسج العمل الفني، ويتنوع المكان مابين الواقعية والخيالية والهامشية أو مركزية على حسب الأحداث التي ستقع فيها، وكذلك الشخصيات والأدوار المنسوبة إليهم، ونظرا لأهميته ومكانته في تصوير الواقع فنجد الكاتب نجيب الكيلاني قد نوع في تصوير الأمكنة الهامشية، فكانت أكثر حضورا في الرواية، وذلك بتركيزه عليه وما حملته الرواية للواقع المعيشي وتجسيد صور المجتمع المصري وواقعهم المعيشي، في تلك الأماكن تحت وطأة جحيم الاستعمار الإنجليزي ومن الأمكنة الهامشية إخترنا "مصر" التي كانت المركز قبل دخول الاستعمار الإنجليزي، لكن في ظل السيطرة الاستعمارية أصبحت هامشية على حافة المدن، فصورها الكاتب

على أنها مكان مهمش على حافة المركز باعتبار أن الاستعمار الإنجليزي أصبح يتحكم في المدينة وفي كامل سياستها وصلاحيتها لا وجود للمجتمع المصري الأصلي، وتابعة لها فشبهها بالريف أو الضيعة الملحقة بالإدارة المركزية والتي صارت ضمن البيئات البيئية الواقعة على حافة المدن، فكل المعاملات والقوانين والأحكام تطبق عليها لا تصدرها هي بذاتها فعليها القبول وفقط وهذا كان نتيجة دخول الاستعمار الإنجليزي وأصبح المركز لمدينة مصر وهذا ما نلمسه في قول الكاتب: (وهكذا اكتسح مصر طوفان المظالم وأصبحت مجرد ضيعة للإنجليز تورد لهم ما يحتاجون من موارد ومؤن.. يأخذونه بثمن بخس أو بلا ثمن)[1].

ومنه مدينة مصر أصبحت بركان المظالم وصارت في أيادي المستعمرين الظالمين، أصبح التحكم والسيطرة وقمع الحقوق وتسيير الإدارات فهو الآمر والناهي،لا وجود للإدارة ولا المجتمع المصري فهم عبيد خادم تحت طاعتها وولائها حتى الحاكم وأصحاب السلطات والنفوذ أصبح يعمل لصالحها هي فقط لا يهمها لا الشعب ولا السلطة المصرية، وتلك السيطرة والهيمنة جعلت من شعب مصر مهمش مسيطر عليه من كل الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ..، فالسيطرة الاستعمارية أدت إلى تفشي ظاهرة الفقر والحرمان والجوع فأصبحت المدينة محاصرة مضيق على شعبها مقصية مهمشة، فأصبحت ضيعة على قول الكاتب للإنجليز شيء ثانوي، والضيعة يبعث لها المال والمؤن دون الاهتمام لها وتفقدها فهي أشبه بالأماكن البعيدة والخالية المهجورة التي يصعب العيش فيها، فهذا حال مصر الآن تحت وقعة الاستعمار الإنجليزي وجحيم الحصار والحرب الذي دخل عليها وغير أحوالها فانتقلت من المركز إلى الهامش.

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص35.

وفي تصوير آخر صوره الكاتب لمدينة مصر، صارت سجن يعاقب فيه المجرمون، وينفون إليه، فظلت مكان للأعمال والمجازر الشنيعة التي يقوم بها المستعمر الإنجليزي على مستعمراته من أستراليا وإفريقيا وآسيا فهي بذلك مكان قذر يعذب ويقتل فيه الآلاف من الأبرياء،أصبحت مكانا للجرائم والمفاسد والمظاهر الإجتماعية الفتاكة بأنواعها وأشكالها فنجدها ملاذا للصوص يقومون بعمليات السطو على المتاجر العامة، ويقوم الإنجليز بالسخرية واللعب بالمواطنين والضرب بدون سبب فهم يرونهم كالحيوانات التي تضرب وتهان، وكذلك النظيفة والجميلة باتت ملجأ للسكارى يتمايلون ليلا بزجاجات الخمر وينشرون الفساد والانحلال الخلقي، فقد دمرت بالكامل المدينة الجميلة البيضاء، فإذا بها تحولت إلى سجون للتعذيب وارتكاب الجرائم والقتل وبيوت للدعارة الليلية تغتصب النساء وتقتل الأبرياء وملاذا للصوص، يفعلون ما يريدون دون محاسبة ومعاقبة والأكبر من ذلك أصبح المجتمع المصري لعبة وسخرية وضحكا وإقامة الضرب عليهم من دون سبب حال مصر الآن وهذا ما صوره لنا الكاتب في قوله: (عما يفعله جنود الإنجليز ومستعمراتهم من أستراليين وإفريقيين وآسيويون، فهم في المدينة يغتصبون النساء ويستولون على البضائع من بضائع المتاجر العامة، ويضربون الموطنين.. ويترنحون سكارى في الشوارع، ينشرون الفساد والانحلال في أرجاء البلاد)[1].

وهذا هدف الاستعمار الإنجليزي من حمايته لمصر، الدخول ثم التوغل ثم الإستيطان وجعل المركز هامش ثم بأفعالهم وقوانينهم يريدون أن يجعلوا من مصر غربية وذلك بالأعمال الشنيعة ونشر الرذيلة والانحلال الخلقي في المجتمع المصري،فهي في نظرهم ملكهم ويفعلون ما يريدون دون محاسبة ولا عقاب

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص104.

الهدف الكبير الإقصاء والفقر والتهميش وإصدار الأوامر وجعل مصر غربية، وقاعا قذرا مهمشا ومكانا للمفاسد والمظالم.

لم تنته مصر بعد من ويلات الهلاك والدمار من طرف الاستعمار والاستيطان الإنجليزي ومن جحيم الحرب والمقاومة الثورية الشعبية في تحريرها من أيادي المستعمر الغاشم، إلا أن يتفاجأوا بنبأ آخر وهو احتلال ومحاصرة مدينة من المدن المصرية المركزية التي تسمى بمدينة "**زفتي**" وعلى إثر هذه الفاجعة الكبرى التي سمعها أهالي مصر فقد إجتمع عدد كبير الأهالي من كل الجهات المدنية والقروية المجاورة، وذلك للاستعداد للحرب والمقاومة فأخذوا يحفرون الخنادق وينظمون الجيوش وتوزيعهم في الأماكن، لكن رغم الإستعداد والمقاومة، فإن الأهالي يعرفون أن الحرب خاسرة منذ بدايتها لأن التعداد ضعيف والإمكانيات قليلة والجيوش قليلة، والسلاح والظروف الصعبة التي يواجهها الأهالي في ظل الإستعمار الإنجليزي من فقر وتشريد وتهميش، ولأن الحرب له إمكانياته ووسائله المتطورة والكبيرة التي تسخر لها، فالحرب أمام جيش وإمبراطورية عظمى مجهزة ومستعدة كامل الاستعداد، حتما الخسارة موجودة أمام الجيش الذي شن الحصار على مدينة "زفتي" وذلك في قول الكاتب: (ورأى الشيخ "عنبة" في زفتي عددا كبيرا من أهالي المدينة والقرى المجاورة يحفرون الخنادق، ويقيمون الاستحكمات.. وتريد أن تقاوم قوات الإمبراطورية الضخمة التي إنتصرت في حرب عالمية طاحنة)[1].

فالأهالي يرون مواجهة إمبراطورية ضخمة مثل هذه والدفاع عن مدينة "**زفتي**" حتما تكون المواجهة صعبة خاصة وأنها انتصرت في الحرب العالمية الكبرى، فرغم الشجاعة والمقاومة التي يتصف بها أهل المدينة في مواجهة العدو إلا أن

[1] نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص206.

السيطرة والسلطة القوية حتما ستفوز أمام شعب مقهور وضعيف متشرد مهمش في بلده الأم فهذه الصورة والواقع المهمش الذي يتصف به المجتمع المصري المحتل سياسيا تمارس عليه وسائل التهميش والتعذيب والإقصاء. وبالمقابل نجد الشخصية المهمشة في أغلب حالاتها من الضعف والتشرد والحزن إلا أنها نجدها تتصف بالشجاعة والمقاومة والصبر أمام وطأة المحتل الظالم المستجد، فهي شخصية إيجابية في أغلب حالتها.

ونجد في موضوع آخر أن القوات الاسترالية حاصرت مدينة "زفتي"من كل الجهات وذلك بإلقاء الطلقات النارية في الهواء وتهديد الأهالي بها، فكان الأمر سهل بسبب المقاومة والأسلحة الضعيفة، فتم الخضوع والاستسلام والمتمثل في قول الكاتب:(حاصرت القوات الأسترالية المدينة، وألقت بعض قذائفها تقدم إليهم، وهون لهم الأمر، وأفهمهم أنه لم يحدث شيء ذو بال وأن المسألة لم تخرج عن عنوانها تنظيما محليا بعد أن اضطر بحبل الأمن ببعض الرجال المستنيرين..وأن المدينة تفتح أبوابها لهم.. دون داع لإراقة الدماء. أو اتخاذ الوسائل العنيفة طريق لبسط النفوذ)[1].

وهذه هي حياة الشعب الضعيف دائما يلجأ إلى الحلول السلمية مخافة تضحيات تكلفه حياته، بالمجازر الدامية والقاتلة، فنجد أن الأهالي قد سلموا مدينة زفتي خضوعا واستسلام ان العدو كان هو المركز بوسائله وأدواته وعدته الحربية فهو خارج من حرب عظمى كبرى، وأن القوات الأسترالية دخلت وحاصرت دون سفك الدماء أو اتخاذ وسائل حربية عنيفة، فالخوف والهلع بين الأهالي والمقاومة الشعبية الضعيفة نظرا للظروف الصعبة تحت وقعة الاستعمار المحتل التي

[1]نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص207.

يعيشونها حتما يؤدي ذلك الخضوع والاستسلام وعدم الرفض لمحاصرة مدينة "زفتي" المهمشة من طرف القوات الأسترالية المسلطة عليهم.

2ـ صورة القرية المهمشة :

في ظل الحرب وتجرع الويلات المرة والألم لم تسلم أي منطقة من مناطق مصر، لا المدن ولا القرى وهذا حال مصر تحت سيطرة الاستعمار الانجليزي، فجميع مناطقها محتلة تواجه المأساة والمرارة والدمار وتقاوم عواصف الحرب والهلاك، هكذا نجيب الكيلاني يصور لنا ويبدع في تصوير قرية من قرى مصر ،ماذا حل بها بعد دخول الاستعمار الإنجليزي وتدميرها بالكامل، وليس بالغريب أن تحدث قصة جديدة فهي أيام رعب وخوف ومظالم بين أهالي القرية، فهذا حال الأيام التي مرت عليهم والتي ستمر فكلها حوادث أليمة ومخاوف وألام فكل يوم مأساة جديدة وقصة تسرد أحداث حزينة فهذا حال القرية في قول الكاتب: (انطلقت صيحة ملتاعة من بيت "عبد العزيز شلبي" تردد صداها في أفق القرية الواجمة، فمزقت سكون الليل الدامس ولم يكن من المتوقع أن تمضي هذه الصرخة سدى أو يتبدد صداها دون أثر، إذ سرعان ما تيقظ الكثيرون من أهل القرية، نحو بيت "عبد العزيز شلبي" يستجلون حقيقة الأمر، حقا إن الأيام كانت كلها كوارث وخوف وعذاب)[1].

فنجد أن في تلك الليلة الظلماء، حيث الناس نيام انطلقت صيحات عالية متعالية في الأفق، اهتز الليل لها وتردد صداها في القرية البعيدة والخالية، تشبه صيحات البكاء على الميت في الليالي الحالكات فيها، أفزعت أصحاب القرية، وإن لم يكن من المتوقع أن يترك رنات جرس قوية تركت الأثر في المسامع وكان ذلك في

[1] نجيب الكيلاني : نفس المصدر السابق، ص7.

بيت "عبد العزيز شلبي" إذ بها استيقظ أهالي القرية في فزع كبير وانتشر الخوف وذهبوا مسرعين لرؤية ما حدث في البيت، فالأيام كلها حوادث ومخاوف، فهذه القصة ليست بجديدة عليهم فلقد أصبح الظلم والخوف والرعب والهلع كالصديق المتأنس به فأهل القرية لم يتفاجؤا بتلك الصيحة لأن الحدث معروف فهم عودوا أنفسهم على انتظار المصائب صار شيء معتادا، وإن شغف الناس ليس بحب ما جرى في التجربة وإنما لبسوا حدة الألم الذي يتجرعونه كل يوم جراء الأحداث والمصائب التي تقع عليهم تحت جحيم الحرب أو بمثابة تعزية يقومون بها في ظل النكبات التي تحل عليهم في القرية، إذن هذه صورة التهميش بالقرى والمدن وذلك بالحزن والألام الذي يحدث على أهلها كل يوم.

من المعتاد عندما نسمع الدوار في أذهانها ذلك الريف الجميل المزين بألوان الربيع الذي يعتبر متنفس وراحة للسياح والزائرين فالدوار هو المكان الريفي الذي تستمتع فيه وتقضي أيام الراحة و السعادة والذهاب إليه بصفاء جوه وزرقة سمائه واخضرار أرضه وشساعة وكرم أهله وطعامه المفيد وحيواناته الجميلة، فسبحان الله خالق الكون ومصوره، والملاحظ أن الاستعمار الإنجليزي لم يترك ذلك الجمال الطبيعي الخلاب على حاله في الدوار الريفي بل شوهه بأبشع الصور وجعل منه زنزانات وسجون للمعتقلين والذين سيتم إرسالهم إلى الحرب وكذلك جعل منه إسطبل للحيوانات ومستوصف تعالج فيه الحيوانات على مقولة الكاتب: (وبعد ساعات كان الرجال محشورين في غرفات الدوار الداخلية، والتي تشبه إلى حد كبير زنزانات السجون، وانتقل الإداريون إلى عمل آخر، ألا وهو جمع الحمير والبهائم ، ووقف الطبيب البيطري المنوط بهذا العمل في حراسة الشرطة يعاين الحيوانات)[1].

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص30.

ومن هنا أصبح الدوار الريفي مكان قذر وقاع متسخ بفعل الإستعمار الإنجليزي الظالم فقد صوره الكاتب على أنه سجن ينفى اليه المجرمون و إسطبل للحيوانات بعدما كان مكان للمناظر الطبيعية الجميلة التي تجذب الناظرين بسحرها وجمالها الطبيعي.

ويواصل الكاتب في تصوير القرية الصغيرة المهمشة التي يصفها بالمنظار الطبيعي الجميل الذي يسر النفوس وينشر البهجة والطمأنينة فيها،فوصف حقولها الخضراء وأشجارها العالية المثمرة، وزرقة السماء وصفائها، لكن ذلك الجمال الطبيعي صار مصغر بالنسبة للعالم الهائج والمضطرب كأمواج البحر بين المد والجزر، والمليء بالحروب والخلافات والمعارك والمآسي الدامية الحزينة والعميقة، وبالتهميش عانت ويلات الحرمان والإقصاء وتجرعت كؤوس الآلام والحسرة رغم الجمال الذي يغطيها، إلا أن الفقر والجوع والظلم طغى على ذلك الجمال وصار لا يساوي شيء أمام تلك الأحزان والمظالم، وهذا نلتمسه في قوله: (ولم تكن قريتنا الصغيرة الملقاة وسط بساط الحقول الخضراء تحت قبة السماء الزرقاء الصافية.. إلا صورة مصغرة للعالم الهائج المضطرب، كانت تغص بالخلافات الصاخبة، والمآسي الدامية وينشر فيها المرض والجوع والجهل)[1].

فالقرية الصغيرة تحولت إلى مكان هامشي موسوم بالجوع والفقر وانتشار الجهل والآفات الاجتماعية بسبب السياسة الإستعمارية والمركزية المستبدة، فهذا حال القرى والمدن في مصر فهي لم تعد حرة، فالإستعمار الإنجليزي طبق قوانينه الظالمة وشرد الأهالي وسلب منهم حقوقهم وأملاكهم، فصار الواقع المعيشي مدمر وعذاب للمجتمع من السياسات الظالمة، فأصبحت المدن الرئيسية على هامش وحواف المركز والقرى قاعات قذرة وأماكن مخيفة يعيش فيها إلا المجرمون الذين

[1]نجيب الكيلاني: نفس المصدر السابق، ص86.

هدفهم التدمير والخراب فنتج عن تهميش السلطة للمجتمع نتائج سلبية خطيرة منها انتشار الفقر، والجوع والجرائم، والأمراض، والحرمان، والإقصاء، وأصبحت القرى والمدن في ظلام دامس وأصبح سكانها يتصفون بالعنف والقسوة والظلم، فأصبح القوي يأكل الضعيف وهذا حال القرية المهمشة، كما في المدينة كذلك، فنجيب الكيلاني صور مهمشيه بمختلف الصور وكانت الأمكنة أكثر حظوظا في رواية "النداء الخالد" التي تسرد وقائع وأحداث وتذكر أمكنة كانت تعاني من ويلات الظلم والقسوة والإقصاء من طرف الإستعمار الإنجليزي الظالم، فهذه الرواية التي تسرد أحداث التي وقعت في مصر كانت نموذجا لصور التهميش والإقصاء.

الخـــاتمة

خاتمة:

نصل إلى خاتمة هاته الدراسة التي تناولت رواية " النداء الخالد" لنجيب الكيلاني، حيث تعد الرواية جنسا أدبيا يخضع إلى مجموعة من الدوافع والعوامل تجعل الاديب ينقل ما يتعرض له مجتمعه من أزمات مختلفة، فالكاتب الروائي لا يكتب لنفسه، بل يسعى دائما إلى إيجاد الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه، ذلك لأن الرواية عالم رحب مستقل بذاته، ومن ثمة حاولنا تقديم دراسة تحليلية لهذه الرواية التي غلب عليها الطابع الواقعي الاسلامي.

ومن النتائج التي أمكننا الخلوص إليها في هذا البحث نذكر ما يلي:

1ــ إن مفهوم الهامش والنظرة للمهمش تخضع لما تقتضيه الظروف الاقتصادية والمبادئ الدينية في المجتمعات.

2ــ استثمرت الرواية العربية الحديثة صور المهمشين مستفيدة من التراث الأدبي العربي المتنوعة في المجال الشعري والنثري.

3ــ مثل المهمش صور المقصي من طرف السلطة الاستعمارية الانجليزية للمجتمع المصري في رواية" النداء الخالد" لنجيب الكيلاني.

4ــ تجسدت فنية تصوير المهمش من خلال الصور الواقعية الاجتماعية التي قدمها نجيب الكيلاني في روايته.

5ــ صور نجيب الكيلاني شخصياته بدقة ومهارة، فصور ملامحها وحركاتها وسكناتها وسلوكها مراعيا بناءها النفسي والشكلي وانتماءها الفكري.

6ــ مثلت الاسباب السياسية وإخفاق الدولة في توفير حاجيات المجتمع أهم أسباب التهميش وذلك من طرف السلطة الاستعمارية ضد المجتمع المصري.

7ــ مثل البعد النفسي والتاريخي والسياسي أهم الابعاد الموضوعية التي تجسدت في الرواية.

8ــ جسدت لنا الرواية واقع مصر الاجتماعي أثناء الاحتلال الانجليزي على مصر.

9ــ لقد أدى المكان عند نجيب الكيلاني دورا مهما في الإيهام بالواقعية حسب كل هذه الأماكن الهامشية التي تنقلت فيها الشخصيات وجرت فيها الأحداث حقيقية ما يجعل القارئ متحققا من وجود هذه الأمكنة.

10ــ جسد البعدان الديني والأخلاقي منظومة القيم التي يتحلى بها الإنسان والأخلاق والطبائع التي تؤطره بمختلف أشكالها.

11ــ مثلت الاسباب العرقية والتمييز العنصري والحقد الديني أهم أسباب التهميش التي عبر عنها نجيب الكيلاني في روايته " النداء الخالد.

12ــ المهمشين الذين صورهم نجيب الكيلاني في روايته" النداء الخالد" وأحوال واقعهم المعاش في قالب فني يلفت انتباه القارئ.

13ــ الشخصية الدينية كانت أكثر حضورا في الرواية تمثل دورها في الشخصية المثقفة والواعظة التي تنور المجتمع بأفكارها ومبادئها وأخلاقها الدينية .

14ــ جرت أحداث الرواية وفق أطر زمانية ومكانية محددة وشخوص عايشت واقع الرواية.

15ــ الرواية عبارة عن مجموعة عن مجموعة من الصور المختلفة للمهمش وكذلك حكم وعبر مأخوذة من الواقع المعاش.

16ــ وصف السارد للحياة الاجتماعية للمهمشين بين العيش في وسط التمدن والريف.

17ــ نلاحظ توظيف السارد مجموعة من الامكنة الواقعية وهذا دليل على أن الرواية تحكي أحداث واقعية نفسية اجتماعية في مصر أثناء الاحتلال الانجليزي على المجتمع المصري.

18ــ بنيت الرواية وفق بنيات سردية محكمة بدقة ومهارة عالية.

وفي الختام يمكن القول أن الروائي نجيب الكيلاني يعد من رواد الادب الاسلامي، ويظهر ذلك من خلال عمله الذي قدمناه في بحثنا هذا.

ويبقى ما قدمناه ينقصه الكثير فهو بحث متواضع جدا، غايته تقديم نموذج من إبداعات الادباء الاسلاميين.

الملاحق

ترجمة الكاتب:

نجيب الكيلاني: ولد الدكتور نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني في أول يونيو عام 1931 الموافق لمحرم من عام 1350ه،ولد في قرية شرشابة التابعة لمركز زفتي بالمحافظة الغربية بمصر، وكان أول مولود يولد لأبيه وأمه،وعلى غرار عادة أهل القرية في هذا الوقت التحق نجيب الكيلاني بكتّاب القرية في سن الرابعة،حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب وقدرا من الأحاديث النبوية الشريفة وكان ينجذب إلى قصص الأنبياء والقرآن الكريم.

أنهى تعليمه المدرسي ومن ثم التحق بالمرحلة الجامعية في عام 1951م، بكلية الطب بالقاهرة، وبعد تخرجه مباشرة،انتقل إلى الحياة العملية وبدأ يمارس وظيفة الطب حيث بدأ بالعمل كطبيب امتياز وتنقل من مستشفى إلى أخرى وبعد فترة قرر أن يسافر إلى الكويت وبعد فترة قصيرة غادر الكويت متجها إلى الإمارات وظل بها لمدة 16عام.

في عام 1960م تزوج الدكتور نجيب الكيلاني من السيدة "كريمة شاهين" وهي أيضا أدبية مصرية مثقفة، حيث رزقهم الله بأربعة أطفال 3صبيان وبنت، وهو من الشخصيات المتواضعة البشوشة والمرحة يتمتع بروح من الدعابة، يطلق عليه أصحابه والمقربين له لقب "الخطيب المفوه صاحب الفكر المنفتح"، برغم من إصابته بمرض الكبد الوبائي ومن ثم بسرطان الدم.

وتوفي نجيب الكيلاني بتاريخ 7مارس1995م وكان قد بلغ من عمره 64عاما.

مخلفا وراءه كماً هائلا من المؤلفات منها الروايات :[رواية في الظلام، رواية قاتل حمزة، أهل الحميدية، مملكة البلعوطي، نور الله، ليل وقضبان،عمر يظهر بالقدس، ليالي تركستان، عمالقة الشمال...]. وعدة قصص ودواوين شعرية وكتب.[1]

ملخص الرواية

هذه إحدى روايات الأديب والكاتب الإسلامي الكبير الدكتور نجيب الكيلاني،حيث جاءت على قدر كبير من جزالة اللفظ، وحسن الأسلوب، والبراعة في سوق الأحداث، وإيصال الأفكار ذات الاستبداد الاجتماعي والثقافي والسياسي، محكومة بفكر إسلامي بحت، مما جعله فرس رهان في هذا المضمار، في رواية من 210 صفحة، يصف الكيلاني أحداثا وقعت ما بين سنة 1919تقريبا، وبعد بضعة فصول تجده ينتقل مباشرة إلى فترة 1954، أمر غريب نوعا ما أن يتخلى الكاتب عن كل تلك السنوات، لكن يمكن القول أنه استغل الأحداث التي وقعت في تلك الفترات.

وكما هو متعارف في قرى مصر أن العادات والتقاليد شيء مقدس، واعتراض شخص لهاته العادات يؤدي به إلى الموت، لكن لا مستحيل للحب في وجه شابين أحبا بعضهما حبا عفيفا، رغم الظروف القاسية التي تعاني منها قرى ومداشر مصر وحتى مدنها بسبب الاحتلال الإنجليزي لها، فثار الشعب المصري على المستعمر بعد أن عانى الويلات منه وتأكد بأنه لا سبيل للخلاص منه سوى بقيام الثورة، فكانت ثورة ذات هدف محدد لها مبادئها الثابتة وهو نداء الحرية، فكانت رواية أكثر من رائعة يبدع فيها الكاتب ببراعة ودقة الوصف والتصوير، فكانت لا تكاد تخلو من رسالة في كل جزء منها، حيث جمع بين الحرب، والمأساة، والحب العفيف، والظلم، ونداء الحرية، والعادات والتقاليد، والصراع بين المبادئ

[1] ينظر نجيب الكيلاني: مدكرات الدكتور نجيب الكيلاني، كتاب المختار، القاهرة، ط01، 2006، ج01، ص 11.

والأخلاق في رواية مشوقة ومليئة بالأحداث الخالية من الحشو والملل تنقلك إلى سحر الريف المصري بعاداته وتقاليده وعلاقاته في ظل الاستعمار الإنجليزي الذي لم يلبث طويلا في البلاد وخرج منها قصرا وانتصر الشعب المصري ونال نداء الحرية الخالد.

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والقواميس:

ــ جمال الدين ابن منظور: لسان العرب،(مادة همش)، تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج:06، ط01، 1424، 2003.

المدونة:

ــ نجيب الكيلاني: النداء الخالد، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1422، 2001.

المراجع:

ــ إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 2010.

ــ إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الادبية، طبع التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، ع01، 1886.

ــ آرثر إيزايرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الاساسية، تر: إبراهيم ورمضان بسطاوس، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2003.

ــ إيميل بديع يعقوب وميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والادب ، المجلد الاول، دار العلم للملايين، بيروت، ط01، 1987.

ــ السعيد علوش: معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط01، 1985.

ــ جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط01، 2003.

ــ حسن نجمي: شعرية الفضاء(المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2000.

ــ حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1991.

ــ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الادب(الادب القديم)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1986.

ــ صلاح فضل: منهج الواقعية في الابداع الادبي، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط02، 1980.

ــ عروة ابن الورد: ديوان عروة ابن الورد أمير الصعاليك، دــ ت ــ ش، أسماء أبوبكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998.

ــ عمر الزعفوري: التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة(رؤية تحليلية من منظور بنيوي)، مجلة عالم الفكر، المجلد 36، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008.

ــ لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي ــ انجليزي ــ فرنسي، دار النهار للنشر، لبنان،ط01، 1986.

ــ محمد بوعزة: تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط01،2010.

ــ محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الادبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط01، 1995.

ــ محمد غنيمي هلال: النقد الادبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، [د ــ ط]، 1997.

ــ نجيب الكيلاني: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، كتاب المختار، القاهرة، ط01، 2006، ج01.

ــ هاني نعمة حمزة: شعر المهمشين في عصر ما قبل الاسلام، دراسة وفق الانساق الثقافية، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط01، 2013.

ــ هويدا صالح: الهامش الاجتماعي في الادب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،2015.

ــ يمنى العيد: الرواية العربية(المتخيل وبنيته الفنية)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط01،2011.

ــ يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط01، 1986.

المجلات والدوريات:

ــ خليل قطناني: عتبة الهامش وفاعلية الخطاب السردي في رواية " برقوق نيسان" لغسان كنفاني، كلية الدعوة الاسلامية، قليقلية، فلسطين، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الاسلامية، المجلد 33(01)

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
المقدمة	أ ـ د
الفصل الأول: مفاهيم حول المهمش	
المبحث الأول: المهمش في المفهومين اللغوي والنقدي	02
مفهوم المهمش	02
أسباب التهميش	06
خصائص أدبا لهامش	10
رواية المهمش في المنظورالنقدي	12
أنواع التهميش	14
الرواية وتمثيلات الواقع في المجتمع المهمش	16
قضايا أدب الهامش	19
الكتابة على الهوامش في المعنى التقني	23
الفصل الثاني: صورة المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني:	
المبحث الأول: الأبعاد الموضوعية وعلاقتها بصورة المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني:	26
البعد التاريخي	28
البعد السياسي	32
البعد النفسي	39
البعد الديني	44
البعد الأخلاقي الاجتماعي	51
المبحث الثاني: فنية تصوير المهمش في رواية "النداء الخالد" لنجيب الكيلاني	62
تصوير خارجي	62
تصوير داخلي	66
الفصل الثالث: الشخصية المهمشة في رواية "النداء الخالد"	
المبحث الأول: صورة الشخصية المهمشة في الرواية	74
مفهوم الشخصية	74
الشخصية المهمشة في الرواية	76
المبحث الثاني: صورة المكان الهامشي في الرواية	82
صورة المدينة المهمشة	84
صورة القرية المهمشة	88
الخـــاتمة	

	92
قائمة المصادر والمراجع	***102***

ملخص المذكرة باللغة العربية:

مثلت ظاهرة التهميش موضوعا إجتماعيا شائكا وجد صداه في فنون الأدب قديما وحديثا، جسد نموذجه نجيب الكيلاني، مصورا واقع مصر المزري في فترة الوجود الإنجليزي بتصوير دقيق واقعي، ونفسي، واجتماعي، وديني أخرج به همشيه من الهامش إلى المركز التغير الأدبي، محاورا إياهم بطريقة غير مباشرة ليبين أبرز التحولات الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية التي مست المجتمع المصري في ذلك الوقت، وبناءا على ذلك ركزت الدراسة على أشكال التصوير وفنيته و أبعاده مستهدفة التعريف بالمهمش وأهمية التعبير عنه في الأدب الرسمي، مستغلة مجموعة من المناهج السياقية التي خدمت الدراسة بشكل مباشر.

الكلمات المفتاحية :

المهمش –التهميش – أدب الهامش – النداء الخالد – نجيب الكيلاني .

Abstract:

anicienthy ،Marginalization was a sicial topic in the arts as literature kepresentes ، the midel of which was NAJIBAL–KILANI،and newly the actuality of Egybt s abhoricalduringEnglish existence with with wich the ، social and religions portrayal ،accurate psychological took his marginalized from the margin to the centerof literary chonge

political and ، religions ، comfirring with them the main socialogical ، art and dimensions of ،cultural chonge that offected the forms airming at defining the marginalized and the ،photography using a range of ،importance of expressing it in official literature contextual approaches that directly served the study.

Najib ، timeless appeal ، margin literature ،Keywords: marginalized AL-kilani .